استراق الجن للسمع
"دراسة عقدية"

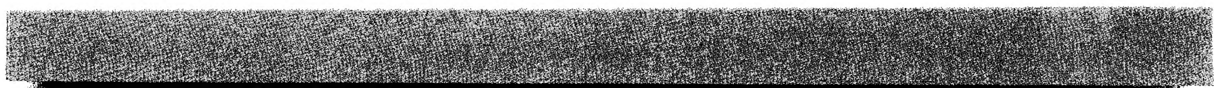
د. إبراهيم بن عبدالله الحماد
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

استراق الجن للسمع "دراسة عقدية"

د. إبراهيم بن عبدالله الحماد
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يبين البحث تضافر الأدلة من كتاب الله، وسنة رسوله، على ثبوت استراق الجن للسمع، كما يوضح المراد باستراق الجن للسمع وصفته، وأن استراق الجن للسمع كان موجوداً قبل بعثة النبي. وأما بعد بعثته فقد اختلف فيه العلماء على قولين أولهما: القول بانقطاع استراق الجن للسمع بعد البعثة، والثاني: أنه بقي منه شيء قليل، وكذلك اختلف العلماء في بقاء استراق الجن للسمع بعد موت النبي، على قولين: أحدهما القول بانقطاعه، والآخر ببقائه، والقول بانقطاع استراق الجن للسمع لايعني أنهم لايحاولون الاستراق، وقد ورد عن ابن عباس، أنهم يتسمعون ولكن لايسمعون، ثم يبين ماالذي يسترقه الجن من السمع؟ وأنه كما ثبت استراق الجن للسمع فقد ثبت – أيضاً– رميهم بالشهب فتحرقهم كما أخبر بذلك النبي، مع بيان اتفاق العلماء على أن رمي مسترقي السمع بالشهب هو من دلائل نبوة محمد، وأن من ينكر استراق الجن للسمع بالكلية لايستند في إنكاره إلى دليل صحيح أو برهان.



المقـدمـة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [3]أما بعد :

فإن من الخصائص التي تميزت وارتكزت عليها العقيدة الإسلامية الصافية عقيدة أهل السنة والجماعة أنها عقيدة غيبية، ولذا كان أول صفة امتدح الله بها عباده المتقين أنهم يؤمنون بالغيب قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[4]، ومن العوالم الغيبية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عالم الجن الذي هو قسيم لعالم في أمرهم بعبادة الله وحده وتوحيده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [5]، وقد جاء الجمع بين هذين الجنسين في عدة آيات كقوله تعالى ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [6] وقوله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [7] وذكر القرآن الكريم أن هذا العالم الغيبي أصناف متعددة، وأمم مختلفة قال تعالى: وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾[8] قال مجاهد[ت١٠٤هـ] –رحمه الله–: يعنون

---

(١) سورة آل عمران:١٠٢

(٢) سورة النساء:١

(٣) سورة الأحزاب:٧٠

(٤) سورة البقرة:٢-٣

(٥) سورة الذاريات:٥٦

(٦) سورة الأنعام:١٣٠

(٧) سورة الإسراء:٨٨

(٨) سورة الجن:١١

مسلمين وكافرين. وقيل : أهواء مختلفة وشيعاً متفرقة[1] لكل فرقة هوى كأهواء الناس، وذلك أن الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء[2].

وقد منح الله هذا العالم قدرة فائقة، وأموراً باهرة يجب على المؤمن التصديق بها، والإقرار بثبوتها، وعدم المسارعة إلى ردها وإنكارها، أو تأويلها تأويلاً لاتدل عليه قرائن صحيحة، بل إن القرائن تدل على عدم صحة هذا التأويل.

ومن تلك الأمور التي مكّنهم الله منها، وأقدرهم عليها استراقهم للسمع من السماء قبل بعثة النبيﷺ ، ثم منعوا منه بعد بعثته كما قال تعالى:﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[3]، فكان ذلك من دلائل نبوته وصدق رسالته.، وقد اختلف العلماء في مسائل عدة تتعلق بهذا الموضوع كاختلافهم في حصول الرجم لمسترقي السمع قبل البعثة، وهل انقطع استراق السمع بالكلية في زمن النبيﷺ وبعد موته؟ أم أن انقطاع الاستماع كان في زمن النبوة ثم عاد بعد وفاة النبيﷺ؟، وماالذي يسترقه الجن من السمع؟ ونحو ذلك من المسائل، ولعل هذه الدراسة التي جعلت عنوانها "استراق الجن للسمع –دراسة عقدية" تكشف جوانب هذا الموضوع .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

كان من دوافع دراسة هذا الموضوع ما يلي:

١- أنه يمسّ جانباً مهماً من خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو الجانب الغيبي.

٢- عالم الجن من العوالم الغيبية التي اضطربت فيه أفهام بعض المسلمين فأنكر بعضهم وجودهم بالكلية، وأنكر آخرون بعض صفاتهم وقدراتهم، ومنهج أهل الحقِ الإيمانُ بالأمرين معاً، فكان من المناسب إبراز هذا المنهج .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري، تحقيق د.عبدالله التركي،ط دار هجر، القاهرة،ط الأولى ١٤٢٢هـ ٣٣١/٢٣.

(٢) ينظر: زاد المسير، ط المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.٣٤٨/٤.

(٣) سورة الجن:٩

٣- أن القائلين بثبوت استراق الجن للسمع اختلفوا في بعض مسائله، وجمع هذه المسائل، وتحرير الخلاف فيها، مع بيان القول الراجح منها يساعد على فهم المسألة وتقريبها.

٤- مع ثبوت استراق الجن للسمع بالكتاب والسنة الصحيحة إلا أن هناك من أنكره بتأويلات فاسدة وشبه باطلة، فكان من المهم رد تلك التأويلات الباطلة ودفع تلك الشبه الفاسدة.

٥- لم أقف على دراسة مستقلة جمعت تفاصيل هذا الموضوع، وإنما يأتي الحديث عنها عند كلام العلماء في الآيات والأحاديث المتعلقة باستراق السمع في كتب التفسير أو الحديث، أو عند الحديث عن عالم الجن والشياطين في كتب العقيدة.

أهداف البحث :

١. بيان حقيقة استراق الجن للسمع، وأدلة ثبوته، وصفته.

٢. إيضاح معنى رجم مسترقي السمع، وأدلته، وبيان أنه من دلائل نبوة محمدﷺ، وصدق رسالته.

٣. عرض أقوال العلماء في بقاء أو انقطاع استراق السمع بعد موت النبيﷺ، وذكر أدلتهم، مع بيان الراجح منها.

٤. الرد على شبه المتأولين أو المنكرين لاستراق الجن للسمع.

أسئلة البحث :

لعل هذه الدراسة تساعد في الإجابة عن عدد من الأسئلة، من بينها:

١. متى حصل الرجم لمسترقي السمع قبل البعثة أو بعدها؟ وما وجه دلالته على نبوة محمدﷺ؟.

٢. هل انقطع استراق الجن للسمع بعد بعثة النبيﷺ انقطاعاً تاماً أو لا؟ وهل بقي هذا الانقطاع بعد موت النبيﷺ ؟.

٣. ما الذي يسترقه الجن من السمع؟ وهل لذلك علاقة بالوحي أولا؟.

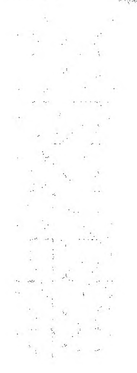
٤. كيف يُرد على من تأول استراق الجن للسمع أو أنكره؟.

٥. ما وجه الجمع بين كون النجوم زينة للسماء، ورجم الشياطين بها؟.

خطة البحث :

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم الفهارس

المقدمة وفيها بيان : أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، وخطته، ومنهجه.



ثم التمهيد : عرّفت فيه بمفردات عنوان البحث تعريفاً مختصراً.

والمبحث الأول : حقيقة استراق الجن للسمع، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : أدلة ثبوت استراق الجن للسمع.

المطلب الثاني : معنى استراق الجن للسمع وصفته.

المطلب الثالث : زمن استراق الجن للسمع وأحواله.

المطلب الرابع : ما الذي يسترقه الجن من السمع؟.

المبحث الثاني : رجم مسترقي السمع، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : أدلة ثبوت رجم مسترقي السمع.

المطلب الثاني: معنى رجم مسترقي السمع وصفته.

المطلب الثالث : زمن رجم مسترقي السمع وأحواله.

المطلب الرابع : رجم مسترقي السمع من دلائل نبوة محمدﷺ.

المبحث الثالث : الشبه المتعلقة باستراق الجن للسمع والرد عليها، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شبه المنكرين لاستراق الجن للسمع، والرد عليها.

المطلب الثاني : الجمع بين كون النجوم زينة للسماء، ورجم الشياطين بها.

المطلب الثالث : إشكال كون رجم الجن بالنار وهم مخلوقون من نار، والجواب عنه.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج.

الفهارس .

منهج البحث :

سلكت في هذه الدراسة المنهج التالي :

١. حرصت على استقراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، وكذا أقوال أئمة أهل السنة الجماعة .

٢. استفدت عند الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية من أقوال المفسرين، وشراح كتب الحديث .

٣. قد أذكر في موضع واحد أكثر من نقل، إما لزيادة معنى، أو تأكيده .

٤. عزو الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٥. تخريج الأحاديث النبوية، وذكر حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول .

٦. توثيق النقول بذكر مصادرها .

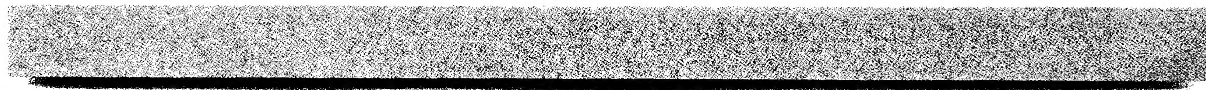
٧. اكتفيت بذكر سنة الوفاة للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث .

٨. ذكرت المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع في الملحق الخاص بها في آخر البحث ، وإذا اختلفت طبعة أي مصدر أو مرجع فإني أشير إليه في موضعه.

وبعد فهذا جهد متواضع، واجتهاد في إبراز جانب من موضوع يتعلق بعالم غيبي، فما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده ﷻ وبفضله وتوفيقه وتسديده، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك .

كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، والسير على طريقة سيد المرسلين ﷺ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *



تمهيد:

تعريف مختصر بمفردات عنوان البحث :

أ- الاستراق :

الاستراق : أصله من سَرَق الشَّيْءَ يسْرِقه سَرَقاً وسَرِقاً واسترَقَه، واسْتَرق السمْعَ أي استَرَق مُستخفِياً، وتَسْتَرِق الجنُّ السَّمْع، تَفْتَعِلُ مِنَ السَّرِقة أيْ أنَّهَا تسمعُه مختفيةً كَمَا يَفْعَلُ السارِق، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ فِعلًا وَمَصْدَرًا[١].

ب- الجنّ :

الْجِنُّ : بالكسر خلاف الإنس، والواحد جِنِّيٌّ. وأصل الجِنِّ: ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جَنَّه الليل وأَجَنَّهُ وجَنَّ عليه، فَجَنَّهُ: ستره، وأَجَنَّه جعل له ما يجنّه، كقولك: قبرته وأقبرته، وسقيته وأسقيته، وجَنَّ عليه كذا: ستر عليه، قال : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [٢]، والجَنَان: القلب، لكونه مستورا عن الحاسة، والمِجَنُّ والمِجَنَّة: الترس الذي يجنّ صاحبه. قال : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [سورة المجادلة:١٦]، والجِنّ يقال على وجهين: أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين، فكلّ ملائكة جنّ، وليس كلّ جنّ ملائكة، وقيل : الملائكة كلها جنّ، وقيل: بل الجن بعض الروحانيين، وذلك أنّ الروحانيين ثلاثة:

- أخيار: وهم الملائكة.
- وأشرار: وهم الشياطين.
- وأوساط فيهم أخيار وأشرار: وهم الجن، ويدلّ على ذلك قوله -عز وجل- : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [٣]، والجِنَّة: جماعة الجن. قال -عز وجل- : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [٤]، والجِنَّة: الجنون[٥]، يقال: جَنّ

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ط دار صادر، بيروت، الأولى، مادة سرق ١٠/١٥٥.

(٢) سورة الأنعام:٧٦.

(٣) سورة الجن: ١٤.

(٤) سورة الناس:٦.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة، لبنان،١/٢٠٤.

الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً: سَتَره. وكلُّ شَيْءٍ سُتر عَنْكَ فَقَدْ جُنَّ عَنْكَ. وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه جَنّاً وجُنوناً وجَنَّ عَلَيْهِ يَجُنُّ، بِالضَّمِّ، جُنوناً وأَجَنَّه: سَتَره؛ وَبِهِ سُمِّيَ الجِنُّ لاسْتِتارِهم واخْتِفائهم عَنِ الأبصار [1]، وقيل: سمّيتْ بذلك لأنّها تُتّقى ولا تُرى. ولِأَنَّهُمْ مُتَستِّرُونَ عَنْ أَعْيُنِ الْخَلْقِ. كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [2][3].

والجن في الاصطلاح عرّفهم ابن عاشور [ت١٣٩٣هـ].- بقوله:" عالم الجن: هو بحسب ما يستخلص من ظواهر القرآن ومن صحاح الأخبار النبوية وحسنها نوع من المجردات أعني: الموجودات اللطيفة غير الكثيفة. الخفية عن حاسة البصر والسمع منتشرة في أمكنة مجهولة،... هي موجودات روحانية مخلوقة من عنصر ناري، ولها حياة وإدراك خاص بها لا يدرى مداه، وهذه المجردات النارية جنس من أجناس الجواهر تحتوي على الجن وعلى الشياطين فهما نوعان لجنس المجردات النارية لها إدراكات خاصة وتصرفات محدودة، وهي مغيبة إلا إذا أوصل الله الشعور بحركتها وإرادتها إلى البشر وعلى وجه المعجزة خرقاً للعادة لأمر قضاه الله وأراده"[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[ت٧٢٨هـ] .-:"لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداًﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، كما يوجد في طوائف المسلمين الغالطون والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك. وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة جنن ٩٢/١٣.

(٢) سورة الأعراف:٢٧.

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م، ٢٠٩٣/٥، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ط دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ٤٢٢/١، ولسان العرب مادة جنن ٩٥/١٣.

(٤) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ط الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر ١٩٨٤م، ٢١٨/٢٩.

عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل إنكار الملائكة ولا إنكار معاد الأبدان ."[1].

ج – السَّمْعُ :

قال ابن فارس [ت ٣٩٥هـ] –رحمه الله– : السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأُذُن، من النّاس وكلِّ ذي أُذُن. تقول: سَمِعْتُ الشيءسَمْعاً[2]، والسَّمع : حِسُّ الأذُنِ، والأذُنُ، وما وَقَرَ فيها من شيءٍ تَسْمَعُه، والذِّكْرُ المَسْموعُ، ويكسرُ كالسَّماعِ[3]، وأما السمع الذي يسترقه الجن فسيأتي الحديث عنه في مبحث مستقل.

* * *

(١) مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وساعده ابنه محمد، إدارة المساحة العسكرية، القاهرة،١٤٠٤هـ، ١٩/١٠.

(٢) ينظر : مقاييس اللغة٣/١٠٢.

(٣) ينظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان،الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ ٧٢٠/١، لسان العرب مادة سمع ٨/١٦٢.

المبحث الأول : حقيقة استراق الجن للسمع، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : أدلة ثبوت استراق الجن للسمع.

تضافرت الأدلة من كتاب الله، وسنة رسولهﷺ على استراق الجن للسمع، ومن تلك الأدلة :

أولاً : أدلة القرآن الكريم :

١ – قال –عز وجل– : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [١].

وقد بين العلماء في تفسيرهم لهذه الآية إثبات كون الجن كانوا يستمعون لخبر السماء، فمن ذلك ماجاء عن قتادة [ت١١٧هـ] .- حيث قال :" كانت الجنّ تسمع سمع السماء؛ فلما بعث الله نبيه، حُرست السماء، ومُنعوا ذلك، فتفقّدت الجنّ ذلك من أنفسها."[٢].

وقال ابن جرير الطبري[ت٣١٠هـ] .- :" يقول , : وأنا كنا معشر الجنّ نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث، وما يكون فيها"[٣]، والمقصود أن مردة الجن كانوا يقعدون من السماء الدنيا مقاعد للسمع يستمعون من الملائكة أخبار السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة فتجري على ألسنتهم[٤].

٢ – قال –عز وجل– : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [٥].

جاء عن ابن عباس–رضي الله عنها– في تفسيرها قوله:" تصعد الشياطين أفواجاً تسترق السمع."[٦].

---

(١) سورة الجن:٨–٩.

(٢) تفسير الطبري٢٣/٦٥٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر : تفسير النكت والعيون للماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ٦ /١١٢.

(٥) سورة الحجر:١٦–١٨

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٧/١٧.

وقال ابن جرير -رحمه الله- :" قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه، إما بإخباله وإفساده، أو بإحراقه."[1].

٣ - قال -عز وجل- : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [2].

قال ابن عباس -رضي الله عنها- في تفسيرها :" إن الجني يَجِيء فيسترق، فَإذا سرق السّمع فَرُمي بالشهاب قَالَ للَّذي يَليه: كَانَ كَذَا وَكَذَا"[3].

٤ - ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [4].

قال يحيى بن سلام[ت ٢٠٠هـ] -رحمه الله- في تفسيره:" كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُونَ أَخْبَارًا مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا الْوَحْيُ فَلَمْ يَكُونُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَسْمَعُوهُ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنِعُوا مِنْ تِلْكَ الْمَقَاعِدَ الَّتِي كَانُوا يَسْتَمِعُونَ فِيهَا، إِلَّا مَا يَسْتَرِقُ أَحَدُهُمْ فَيُرْمَى بِالشِّهَابِ"[5].

٥ - ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [6].

قال يحيى بن سلام -رحمه الله- في تفسيره:" كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ تَسْتَمِعُ ثُمَّ تَنْزِلُ إِلَى الْكَهَنَةِ، فَتُخْبِرُهُمْ، فَتُحَدِّثُ الْكَهَنَةُ بِمَا نَزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الصافات:٦-١٠.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط دار الفكر، بيروت. ١٩٩٣هـ ٧ / ٨٠، وقال:"أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر....فذكره"، ولم أقف عليه في غيره.

(٤) سورة الشعراء:٢١٠-٢١٢.

(٥) تفسير يحيى بن سلام، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢/٥٢٦، وينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تحقيق حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز ،الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٣/٢٨٩.

(٦) سورة الشعراء:٢٢١-٢٢٣.

مِنَ السَّمْعِ وَتَخْلِطُ بِهِ الْكَهَنَةُ كَذِبًا كَثِيرًا فَيُحَدِّثُونَ بِهِ النَّاسَ. فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ سَمْعِ السَّمَاءِ فَيَكُونُ حَقًّا، وَمَا خَلَطُوا بِهِ مِنَ الْكَذِبِ يَكُونُ كَذِباً "(1).

قال ابن جرير -رحمه الله-: " يُلْقِي الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ، وَهُوَ مَا يَسْمَعُونَ مِمَّا اسْتَرَقُوا سَمْعَهُ مِنْ حِينَ حَدَثَ مِنَ لاالسَّمَاءِ"(2).

٦ - ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (3).

قال البغوي[ت ٥١٠هـ].-رحمه الله -:" جعلناها رجوماً : مرامي، للشياطين، إذا استرقوا السمع."(4).

وقال الشوكاني[ت ١٢٥٠هـ].-رحمه الله- :" الْمَعْنَى أَنَّهَا يُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ."(5).

ثانياً: أدلة السنة النبوية :

وردت عدة أدلة من السنة النبوية المطهرة تدل على استراق الجن للسمع، فمن ذلك :

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنها- قَالَ :" انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالَ: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ، فَانْطَلَقُوا فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، يَنْظُرُونَ مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَخْلَةَ، وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ. فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ

---

(1) تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٥٣٢، وينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٢٩١.

(2) تفسير الطبري ١٧/ ٦٧١.

(3) سورة الملك: ٥.

(4) تفسير البغوي ٥/ ١٢٥.

(5) فتح القدير، ط دار الفكر، بيروت، ٥/ ٣١٠.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [1] " وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [2] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ "[3].

موضع الشاهد : " حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ".

وجه الدلالة : أنهم قبل ذلك لم يُحل بينهم وبين خبر السماء، والمقصود استراقهم لخبر السماء.

٢ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضى الله عنه– عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ – قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ – فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ – وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ اليُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ – فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الأَرْضِ – فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ "[4].

موضع الشاهد : فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ.

وجه الدلالة : الحديث صريح في استراق الجن للسمع.

٣ – عَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟) قَالُوا: اللهُ

---

(١) سورة الجن:٨–٩.

(٢) سورة الجن:١.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في صلاة الفجر ح٧٧٣، ومسلم في كتاب الصلاة ح٤٤٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾. ح٤٧٠١.

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا) ثُمَّ قَالَ: "الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ[1] فِيهِ وَيَزِيدُونَ"[2].

موضع الشاهد : فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ.

وجه الدلالة : أن الجن يرمون ماسمعوه من الملائكة في السماء[3].

٤ – قَالَتْ عَائِشَةُ –رضي الله عنها– : سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَيْسُوا بِشَيْءٍ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ)[4].

موضع الشاهد : تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيّ.

وجه الدلالة : خطف الجني للكلمة من الحق هو أخذها بسرعة[5].

٥ – عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ"[6].

---

(١) يَقْرِفُونَ: يعني يخلطون فيه الكذب. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ط دار الفكر ١٤٠١هـ ١٤/٢٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، ح٢٢٢٩.

(٣) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ٧/٢٩١٠.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب تحريم الكهانة ح٥٧٦٢. ومسلم في كتاب الآداب ٢٢٢٨.

(٥) ينظر : فتح الباري ١٠/٢١٩.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ح٣١٢٠، وأخرجه مسلم في كتاب

موضع الشاهد : فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ.

وجه الدلالة : الحديث صريح في استراق الجن للسمع.

هذه بعض أدلة السنة على استراق الجن للسمع، وماورد في غير الصحيحين وثبت صحة سنده فإنه يرجع في الغالب إلى ماذكر من هذه الأحاديث إما بلفظه ومعناه، أو بمعناه.

وأما الآثار الواردة عن الصحابة فكثيرة، ولعل ماسبق من الآثار الواردة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في تفسير بعض الآيات مشعر بذلك، كما صح عنه –أيضاً– أنه قال :" إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع. "[1]، وسيأتي ذكر أقوال غيره من الصحابة –رضي الله عنهم– في أثناء البحث .

* * *

السلام ح ٢٢٢٨.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ٧/ ٣٢٧، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية، ط المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ، ١/ ١٠٢.

المطلب الثاني : معنى استراق الجن للسمع وصفته.

يظهر من خلال الأحاديث السابقة المراد باستراق الجن للسمع وصفته، فقد بينت أن "استراق السمع هو كما أخبر الرسولﷺ أن الله جل وعلا إذا قضى الأمر من أمره، وأمر به ملائكته وتكلم بالوحي، حصل للسماء من ذلك رعدة ورجفة، وكذلك الملائكة الذين يحفون بالعرش يفزعون ويصعقون خوفاً من الله جل وعلا، ثم إذا فُزّع عن قلوبهم سألهم الملائكة الذين يلونهم: ماذا قال ربنا؟ فيقولوا: قال الحق، ثم ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا، ثم ينتهي الخبر إلى الملائكة الذين في العنان -يعني: في السحاب- يدبرون أمر الله فينقلونه ويتكلمون به، والشياطين يركب بعضهم بعضاً ليسترقوا ما تقول الملائكة، فإذا سمعوا كلمة أخذها الأعلى وألقاها إلى من تحته، والذي تحته يأخذها ويلقيها إلى من تحته، إلى أن تصل إلى الذي في الأرض، ثم يذهب بها إلى قرينه الكاهن مسرعاً، فيخبره ويزيد معها مائة كلمة كذب، فالخبر الذي يقولونه ويكون على وجهه هو من هذا القبيل، فيصدقون مرة ويكذبون مائة مرة"[1].

ويمكن إيضاح استراق الجن للسمع وصفته بما يلي :

١- أن الاستراق يكون على وجه الخطف، وهو الأخذ بسرعة[2]، ويشهد لذلك قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [3] قال الألوسي[ت١٢٧٠هـ].- :" الخطف الاختلاس والأخذ بخفة وسرعة على غفلة المأخوذ منه، والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة بلام العهد."[4]، وكذا قول النبيﷺ : (يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ) قال ابن حجر[ت٨٥٢هـ] -رحمه الله- :" يخطَفها بخاء معجمة وطاء مفتوحة وقد تكسر بعدها فاء، ومعناه :الأخذ بسرعة."[5].

---

(١) شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/٧٧.

(٢) ينظر: غريب القرآن للسجستاني، تحقيق:محمد أديب عبد الواحد جمران .دار قتيبة - سوريا ،الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ١/٢١١.

(٣) سورة الصافات:١٠.

(٤) روح المعاني للألوسي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٢/٦٩.

(٥) فتح الباري لابن حجر، ط دار الفكر بإشراف محب الدين الخطيب، ١٣٨٠هـ،١٠/٢١٩.

٢ – أن الجن حال الاستراق "يتراكبون واحداً فوق الآخر، إلى أن يصلوا إلى السماء، فيقعدون لكل واحد مقعد خاص، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [1]" [2]، ويشهد لهذه الهيئة ماجاء في الحديث : (ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، -وصفه سفيان بكفه-) قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم [ت١٣٩٢هـ].- :" يسمع المسترق وهو الشيطان الفوقاني الكلمة التي سمعت من السماء، فيلقيها إلى الشيطان الذي تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، ثم الآخر إلى من تحته، وهكذا حتى يلقيها آخرهم على لسان الساحر، أو على لسان الكاهن"[3].

٣ – ذهب بعض العلماء إلى أن استماع الجن لكلام الملائكة إنما هو من السحاب وليس من السماء الدنيا لحديث : (إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ) قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [ت١٢٣٣هـ].رحمه الله-:" ظاهر هذا أنهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا، وإنما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب."[4] وقال ابن حجر –رحمه الله- :" يحتمل أن يريد بالسحاب السماء كما أطلق السماء على السحاب[5]، ويحتمل أن يكون على حقيقته وأن بعض الملائكة إذا نزل بالوحي إلى الأرض تسمع منهم الشياطين، أو المراد الملائكة الموكلة بإنزال المطر"[6]، ولأن سماع الجني من الملائكة في السحاب أقرب، فهو بالاعتبار أنسب[7]، ويرى آخرون أن:"سماعهم من الذين في العنان لا ينفي سماعهم من الذين في السماء"[8]، وأشار

---

(١) سورة الجن: ٩.

(٢) القول المفيد، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، الرياض، دار الثريا، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ٣١٣/١.

(٣) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ص١٢٧، وينظر: تيسير العزيز الحميد، ط المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ، ص٢٢٢.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٢٢٢.

(٥) يعني كما في قوله ´ :﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٨] . ينظر : مرقاة المفاتيح ٢٩٠٤/٧.

(٦) فتح الباري ٢٢٠/١٠.

(٧) ينظر مرقاة المفاتيح ٢٩٠٤/٧.

(٨) حاشية ابن قاسم ص١٢٧، وينظر في ذكر القولين –أيضاً-: تفسير السمعاني ١٣٢/٣، تفسير النكت

بعضهم إلى أنه يمكن التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب بأن يقال: إن الملائكة مرة ينزلون في العنان فيتحدثون هناك، وأخرى يتذاكرون في السماء، وليس هناك ما يمنع من عروج الشياطين إلى السماء الدنيا[1]، ويؤيد ذلك ماورد في الحديث: (فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ)[2].

قال الشيخ ابن عثيمين [ت١٤٢١هـ] -: "السحرة قد يكون لهم من الجن من يسترق لهم السمع. ولا يصل هؤلاء المسترقون إلا إلى السماء الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[3]، فلا يمكن نفوذه إلى ما فوق."[4]

٤ – وصف النبيﷺ نقل الجني للكاهن مااسترقه من السمع بقوله: (يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ) وقد بين العلماء المراد بذلك، فقال الخطابي[ت ٣٨٨] -: "مَعْنَاهُ أَنَّ الْجِنِّيَّ يَقْذِفُ الْكَلِمَةَ إِلَى وَلِيِّهِ الْكَاهِنِ فَتَسْمَعُهَا الشَّيَاطِينُ كَمَا تُؤْذِنُ الدَّجَاجَةُ بِصَوْتِهَا صَوَاحِبَهَا فَتَتَجَاوَبُ"[5]، وقال: "وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهِيَ أَنْ تَكُونَ الرِّوَايَةُ كَقَرِّ الزُّجَاجَةِ تَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ (فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِهِ كَمَا تَقُرُّ الْقَارُورَةُ)[6] فَذِكْرُ الْقَارُورَةِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الرِّوَايَةِ بِالزُّجَاجَةِ."[7]، وقال النووي [ت٦٧٦هـ]- رحمه الله-: "قال أهل اللغة والغريب: القرُّ ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه. تقول: قررته أقره قراً، وقر الدجاجة صوتها إذا قطعته، يقال: قرت تقر قراً وقريراً، فإن رددته قلت: قررت قرقرة، ويروى قر الزجاجة بالزاي، ويدل عليه ثبوت رواية البخاري

والعيون للماوردي ١٥٢/٣.

(١) ينظر: روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي، ط العثمانية ١٣٣١هـ، ١٩٣/١٠. وينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي ١٥٢/٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، ح٢٢٢٩.

(٣) سورة الأنبياء:٣٢.

(٤) القول المفيد ٣١٤/١.

(٥) غريب الحديث للخطابي، تحقيق عبدالكريم العزباوي، ط دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ، ٦٦١/١.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ح٣٢٨٨.

(٧) المصدر السابق ٦٦٢/١.

فيقرها في أذنه كما تقر القارورة"[1]، قال ابن حجر -رحمه الله- :" المراد بقر الدجاجة صوتها وأما الرواية الأخرى فيقرقرها قرقرة الدجاجة[2] فالمعنى يرددها ترديد صوت الدجاجة، ويروى : الزجاجة بالزاي [3]وهو كناية عن استقرارها فيها، وقال بن الأعرابي [ت٣٤٠هـ]-رحمه الله- : يقال :قررت الكلام في الأذن : إذا وضعت فمك عند المخاطبة عند الصماخ، وتقول : قر الخبر في الأذن يقره قراً إذا أودعه"[4].

ومن العلماء من رد رواية الدجاجة فقال :" استعمال قرّ الحديث في الأذن شائع مستفيض في كلامهم، وأما استعماله على الوجه الذي فسروا عليه الحديث، فإنه غير مشهور، لم نجد له شاهداً في كلامهم، وكل ذلك يدل على أن الدجاجة بالدال تصحيف، أو غلط من السامع."[5]. وأجيب عن ذلك بأنه :" كما يصح أن يشبّه ترديد ما اختطفه من الكلام في أذن الكاهن بصب الماء في القارورة يصح أن يشبّه ترديد كلام الجني في أذن الكاهن بترديد الدجاجة صوتها في أذن صواحبها، كما تشاهد الديكة إذا وجدت حبة، أو شيئاً تقر وتسمع صواحبها، فيجتمعن عليها، وباب التشبيه مما فيه وُسْعٌ لا يفتقر إلا إلى العلاقة."[6].

وقد أورد البغوي -رحمه الله- وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن أهل الجاهلية من الكهنة قالوا: لا يكون كاهن إلا ومعه تابع من الجن، فينطلق الشياطين الذين كانوا مع الكهنة، فيقعدون من السماء مقاعد السمع، ويستمعون إلى ما هو كائن في الأرض من الملائكة، فينزلون به على كهنتهم فيقولون: إنه قد كان كذا وكذا من الأمر، فتفشيه كهنتهم إلى الناس، فيتكلمون به قبل أن ينزل على النبيّﷺ، فإذا تكلم به النبيﷺ قالوا: قد علمنا قبله، وكانت الشياطين لا تحجب عن الاستماع في السموات حتى بعث عيسى ابن مريم،، فمنعوا من ثلاث سماوات، وكانوا يصعدون في أربع

---

(١) شرح صحيح مسلم ٧/٢٩٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق ح٧٥٦١.

(٣) في بعض نسخ البخاري. ينظر : صحيح البخاري بتعليق مصطفى البغا ٩/١٦٢.

(٤) فتح الباري ١/١٧٢.

(٥) مرقاة المفاتيح ٧/٢٩٠٣.

(٦) المصدر السابق.

سماوات، فلما بعث النبيﷺ منعوا من السموات السبع، وكان الشيطان المارد منهم يصعد، ويكون آخر أسفل منه، فإذا استمع قال للذي أسفل منه: قد كان من الأمر كذا وكذا، فيهرب الأسفل، ويرمي الذي استمع بالشهاب، ويأتي الأسفل بالأمر الذي سمع إلى كهنتهم[1].

* * *

(١) ينظر: تفسير البغوي ٥٢/٣، وزاد المسير ٥٢٧/٢، وروح المعاني ١٣٨/١٠، وقد أخرجه بنحوه مختصراً ابن عساكر في تاريخ دمشق، ط دار الفكر،بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ٧٠/٢ .

المطلب الثالث : زمن استراق الجن للسمع وأحواله.

المقصود بزمن استراق الجن للسمع مدى حصوله في زمن بعثة النبيﷺ وقبلها، وهل استمر بعد موت النبيﷺ؟، والمراد بأحواله من حيث قوته وضعفه. قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" أحوال استراق السمع ثلاثة:

١ - قبل البعثة: كثير جداً.

٢ - وبعد بعثة النبيﷺ لم يحصل استراق من الجن، وإن حصل فهو نادر في غير وحي الله- جل وعلا- بكتابه لنبيه.

٣ - بعد وفاته.

٤- رجع استراق السمع أيضاً، ولكنه ليس بالكثرة التي كانت قبل ذلك."[١]، وقال - أيضاً- :" استراق السمع له ثلاثة أزمنة:

١- الزمن الأول: ما كان قبل البعثة، قبل أن يُوحَى إلى محمدﷺ، يعني في حال أهل الجاهلية، وهذا كان استراق السمع كثيراً لحكمةٍ لله , في ذلك، ولذلك كان ما يُخْبِرُ به الكُّهَان ويصدقهم الناس فيه كثيراً.

٢- الزمن الثاني: بعد أن أُوحِيَ إلى النبيﷺ فإنَّ السماء مَلَأَهَا الله -عز وجل- حرساً شديداً وشُهُباً، كما قال , في سورة الجن مخبرا عن قول الجن في صدر السورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن:١] إلى أنْ قال ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن:٨] فَدَلَّ على أنَّهَا مُلِئَتْ، ولم يَعْهَدُوا ذلك من قبل؛ يعني أنَّ الله , جَعَلَهَا محروسةً لأجل وقت تَنَزُّلِ وحيه على رسوله محمد، حكمةً منه، وإلا فالله سبحانه قادر على أن لا يأذن بشيء من استراق السمع لكن لله , الحكمة والابتلاء لعباده، فمُنِعُوا من الاستماع، ومُنِعُوا من استراق السمع وبَقِيَ ما ينفذ القليل جداً بالنسبة إلى ما سبق.

٣- الزمن الثالث: هو ما بعد عهد النبيﷺ، فإنَّ ظاهر الأدلة يدلُّ على أنَّها لم تَخْلُ بعد ذلك من الشهب ومن حراستها في ذلك لئلا يَدَّعِيَ أحدٌ النبوة وتكثر الشبهة معه فيما يخبِرُ بالمغيبات ممن يدَعَى النبوة."[٢].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، نشر دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ،٢١٨/١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د.عبدالله التركي وشعيب الأرناؤط، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ص٧٠٦.

وعلى هذا فسيكون الحديث بناء على هذه الفترات الثلاث.

أولاً: قبل البعثة :

ذهب بعض أهل العلم إلى أن "الاستراق والرمي بالشهب كان منذ خلق الله جلّ وعلا السماوات، وقد ذكر ذلك جلّ وعلا في كتابه في عدد من الآيات: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [1]"[2]، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على ثبوت استراق الجن للسمع قبل البعثة وكثرته، فمن ذلك قوله -عز وجل-: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [3]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [4]، وأما الأحاديث فإنها صريحة في وجود الاستراق قبل البعثة كالحديث الذي فيه التصريح بالحيلولة بينهم وبين خبر السماء بعد بعثة النبيﷺ[5]، والحديث الذي فيه سؤال النبيﷺ عن النجم الذي رمي به ماذا كانوا يقولون عنه في الجاهلية؟ وإبطال ماكانوا يعتقدونه في ذلك، وإخباره أنه يُرمى به مسترق السمع[6].

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "الشياطين قد يسترقون السمع، وهذا كان في الجاهلية كثيراً."[7]، ولم أقف على قول أحد من العلماء أنكر استراق الجن للسمع قبل بعثة النبيﷺ.

ثانياً: بعد بعثة النبيﷺ:

قال الماوردي[٤٥٠هـ] -رحمه الله-: "استراقهم للسمع بعد بعث الرسولﷺ فقد اختلف فيه أهل العلم على قولين:

أحدهما: أنه زال استراقهم للسمع ولذلك زالت الكهانة.

---

(١) الملك: ٥.

(٢) شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله الغنيمان ٥٢/٧.

(٣) سورة الجن: ٩.

(٤) سورة الحجر: ١٨.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد، نشر مؤسسة الرسالة، ٢٢٨/١.

والثاني: أن استراقهم باق بعد بعث الرسول، وكان قبل الرسول لا تأخذهم الشهب لقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [1]"[2].

واستدل القائلون بزوال استراق السمع بعد بعثة النبيﷺ بمايلي:

١- ظاهر قوله -عز وجل- : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[3].

أخرج الطبري-رحمه الله- في تفسيره عن قتادة .- أنه قال :" كانت الجنّ تسمع سمع السماء، فلما بعث الله نبيه، حُرست السماء، ومُنعوا ذلك، فتفقّدت الجنّ ذلك من أنفسها."[4].

وإلى ذلك ذهب ابن قتيبة[ت٢٧٦هـ]-رحمه الله- حيث قال:" كانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بعث منعوا من ذلك أصلًا"[5].

وقال ابن عطية[ت٥٤٢هـ]-رحمه الله-:" الآية قَطْعٌ على أنَّ كلَّ مَنِ استمع الآنَ أحرقه شهاب فليس هنا بَعْدُ سَمْعٌ إنَّما الإحراقُ عِنْدَ الاِستماع" [6]. وقال -أيضاً-:" لما جاء الله تعالى بالإسلام حرست السماء بشدة فلم يفلت شيطان سمع بتة. ويروى أنها لا تسمع شيئا الآن"[7].

وصرّح بذلك الشنقيطي[ت١٣٩٣هـ]-رحمه الله- فقال:" كَانُوا يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ عَنْهُمْ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾. وَإِنَّمَا مُنِعُوا مِنْ ذَلِكَ حِينَ بُعِثَﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾"[8].

---

(١) سورة الجن:٩

(٢) أعلام النبوة للماوردي، دار ومكتبة الهلال – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ ص١٦٧.

(٣) سورة الجن:٩.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/٦٨٥.

(٥) تفسير البغوي ٥/١٦٦.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ ٥ /٣٨١، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار إحياء التراث العربي –بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ ٥ / ٤٩٥.

(٧) المحرر الوجيز ٥/٣٨١.

(٨) أضواء البيان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ،عام النشر ١٤١٥هـ ٢/٢٦١.

وقال ابن عاشور–رحمه الله–:"فِي سُورَةِ الْجِنِّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُنِعَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ إِحْكَامًا لِحِفْظِ الْوَحْيِ مِنْ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَى النَّاسِ بِالْكِهَانَةِ "[1]، وقال –أيضاً–:" كَانُوا قَبْلَ الْبِعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ رُبَّمَا اخْتَطَفُوا الْخَطْفَةَ فَأَلْقَوْهَا إِلَى الْكُهَّانِ فَلَمَّا بَعَثَ الله مُحَمَّداً ﷺ قَدَّرَ زِيَادَةَ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ بِإِرْدَافِ الْكَوَاكِبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَتَّى لَا يَرْجِعَ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ سَالِمًا كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ. فَالشُّهُبُ كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ قَبْلُ وَكَانَتْ لَا تَحُولُ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ تَلَقُّفِ أَخْبَارٍ مُقَطَّعَةٍ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَلَمَّا بعث مُحَمَّد، حُرِمَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ ذَلِكَ. "[2].

٢ – حديث ابن عباس–رضي الله عنها– المتقدم وفيه: (انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ. فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ)[3].

قال النووي –رحمه الله– :" ظاهر هذا الكلام أن هذا حدث بعد نبوة نبينا، ولم يكن قبلها، ولهذا أنكرته الشياطين وارتاعت له "[4].

٣ – ماورد عن ابن عباس–رضي الله عنهما– أنه قال: " إِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانُوا يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْتَمِعُونَ الْكَلِمَةَ مِنَ الْوَحْيِ، فَيَهْبِطُونَ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَيَزِيدُونَ مَعَهَا تِسْعًا، فَيَجِدُ أَهْلُ الْأَرْضِ تِلْكَ الْكَلِمَةَ حَقًّا وَالتِّسْعَ بَاطِلًا، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ فَمُنِعُوا تِلْكَ الْمَقَاعِدَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ حَدَثٌ فَبَعَثَهُمْ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ، يَتْلُوا الْقُرْآنَ بَيْنَ جَبَلَيْ نَخْلٍ، قَالُوا: هَذَا وَاللهِ لَحَدَثٌ، وَإِنَّهُمْ لَيُرْمَوْنَ فَإِذَا تَوَارَى النَّجْمُ عَنْكُمْ، فَقَدْ أَدْرَكَهُ لَا يُخْطِئُ أَبَدًا لَا يَقْتُلُهُ يحرِقُ وَجْهَهُ، جَنْبَهُ، يَدَهُ"[5].

---

(١) التحرير والتنوير ٩٢/١٣.

(٢) المصدر السابق

(٣) سبق تخريجه .

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٧/٤.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة، تحقيق: محمد عبد الله أبو صعيليك، الناشر: دار القلم – دمشق ١٤١٥هـ، ص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" كانوا يقعدون بها مقاعد للسمع أي يسترق أحدهم ما يسمعه كما يستمع المستمع إلى حديث غيره مختفيا بسماعه مسترقاً له، فكانت الشياطين تسترق - أي تستمع - ما تقوله الملائكة، فلما بعث محمدﷺ صار أحدهم إذا سمع وجد الشهاب قد أرصد له، فلم يستطع أن يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك."[1].

وعبر عن ذلك الألوسي[ت ١٢٧٠هـ].- بقوله:" تَنَزُّلُ الشياطين وإلقاءهم ما يسمعونه من السماء إلى أوليائهم حسبما تفيده الآية المذكورة في أحد محاملها إنما كان قبل البعثة حيث لم يكن حينئذ منع، أو كان لكنه لم يكن شديداً. والمنع من السمع الذي يفيده قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[2] إنما كان بعد البعثة وكان على أتم وجه."[3].

وذكر ابن عثيمين-رحمه الله- الخلاف مصرحاً بترجيح انقطاع الاستراق وقت البعثة فقال: " اختلف العلماء: هل المسترقون انقطعوا عن الاستراق بعد بعثة الرسولﷺ إلى الأبد أو انقطعوا في وقته فقط؟ والثاني هو الأقرب: أنهم انقطعوا في وقت البعثة فقط، حتى لا يلتبس كلام الكهان بالوحي، ثم بعد ذلك زال السبب الذي من أجله انقطعوا."[4].

واستدل أصحاب القول الثاني القائلون بأن استراق السمع باق حتى بعد البعثة بما يلي:

١١٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ ٦ /١٠٧، والبيهقي في الدلائل، طدار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ، ٢/٢٣٩، وبنحوه البغوي في التفسير٣ /٥٢، وابن كثير في البداية والنهاية، ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١/٤١٦.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق:د.علي حسن و د.العسكر و د.الحمدان، دار العاصمة، ١٤١٤هـ، ٦ / ٦٧.

(٢) سورة الشعراء:٢١٢.

(٣) روح المعاني ١٠/١٣٨.

(٤) القول المفيد١/ ٣١٥.

١ - قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [١].

قال القاضي عياض[ت ٥٤٤هـ] -رحمه الله-: "الحق أن الشهب قد كان يرمى بها قبل البعث إلا أن ذلك كان في وقت خاص، وكان للجن مقاعد معه يسترقون السمع منها فلما بعث الله نبيه ﷺ عم الأوقات كلها، وملأ السماء حرسا وجعل لكل من يسترق السمع من الجن شهابا رصدا، فحال ذلك بينهم وبين ما كانوا يصلون إليه من خبر السماء إلا أن يخطف أحدهم الخطفة فيتبعه شهاب ثاقب كما أخبر الله في كتابه، وكما في حديث عائشة المذكور."[٢].

وقال الشيخ السعدي[ت ١٣٧٦هـ] -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: "لولا أنه -تعالى- استثنى، لكان ذلك دليلاً على أنهم لا يستمعون شيئا أصلاً ولكن قال: ﴿إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة "[٣].

٢ - حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها- المتقدم وسؤال بعض الصحابةِ النبيَّ ﷺ عما يخبرهم به الكهان[٤].

وقد أشار إلى ذلك القاضي عياض -رحمه الله- في النص السابق.

قال ابن حجر -رحمه الله-: " الشَّيَاطِينَ مَعَ شِدَّةِ التَّغْلِيظِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ لَمْ يَنْقَطِعْ طَمَعُهُمْ فِي اسْتِرَاقِ السَّمْعِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ"[٥].

---

(١) سورة الصافات:٦-١٠.

(٢) أورده جمال الدين المَلَطي الحنفي في المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، نشر دار عالم الكتب،١٩٩٧م، ٢/١٩٩.

(٣) تفسير السعدي، تحقيق د عبدالرحمن اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ص٧٠٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) فتح الباري٨/٦٧٣.

القول الراجح :

الراجح -والله أعلم- هو القول الأول وهو أن استراق السمع انقطع زمن بعثة النبي ﷺ، وممن رجح ذلك ابن عثيمين -رحمه الله- كما سبق.

وقد أجاب بعض المفسرين عن الآية التي استدل بها أصحاب القول الثاني وهي قوله-عز وجل-: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [1]، بأن الاستثناء هنا منقطع وهو بمعنى لكن[2]، وقال الرازي .- :"لا يمكن حمل لفظة (إلا) هاهنا عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، بِدَلِيلِ أَنَّ إِقْدَامَهُمْ عَلَى اسْتِرَاقِ السَّمْعِ لَا يُخْرِجُ السَّمَاءَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَحْفُوظَةً مِنْهُمْ"[3]، وأجيب -أيضاً- بأن هذه الآية هي كقوله -عز وجل-: ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [4] والمعنى كما فسرها بذلك ابن عباس -رحمه الله- :"من أراد استراق السمع"[5]، ومجرد الإرادة لاتدل على حصول الاستراق.

وأما حديث عائشة -رضي الله عنها- فقد أجيب عنه بأنه وصف للكهانة السابقة قبل البعثة[6].

ثالثاً: بعد وفاة النبي ﷺ:

اختلف العلماء في بقاء استراق الجن للسمع بعد وفاة النبي ﷺ على قولين:

القول الأول: أن استراق الجن للسمع استمر بعد وفاة النبي ﷺ، واستدلوا بقوله -عز وجل-: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [7].

قال ابن حجر -رحمه الله-:"سَبَبَ التَّغْلِيظِ وَالْحِفْظِ لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُلْقَى بِأَمْرِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ مَعَ شِدَّةِ التَّغْلِيظِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ لَمْ يَنْقَطِعْ طَمَعُهُمْ فِي اسْتِرَاقِ السَّمْعِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَيْفَ بِمَا بَعْدَهُ؟!

---

(1) سورة الصافات:٦-١٠

(2) ينظر : تفسير السمعاني ٤/٣٩٣.

(3) تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٦/٣٢١.

(4) الحجر: ١٨.

(5) تفسير الطبري ١٧/٧٨.

(6) ينظر:التحرير والتنوير ١٤/٣٢.

(7) سورة الصافات:٦-١٠.

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِغَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ لَمَّا طَلَّقَ نِسَاءَهُ : ((إِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ فِيمَا تَسْتَرِقُ السَّمْعَ سَمِعَتْ بِأَنَّكَ سَتَمُوتُ فَأَلْقَتْ إِلَيْكَ ذَلِكَ)) الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَغَيْرُهُ[1] فَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اسْتِرَاقَهُمُ السَّمْعَ اسْتَمَرَّ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا يَقْصِدُونَ اسْتِمَاعَ الشَّيْءِ مِمَّا يَحْدُثُ فَلَا يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا إِنِ اخْتَطَفَ أَحَدُهُمْ بِخِفَّةِ حَرَكَتِهِ خَطْفَةً فَيَتْبَعُهُ الشِّهَابُ فَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا لِأَصْحَابِهِ فَاتَتْ، وَإِلَّا سَمِعُوهَا وَتَدَاوَلُوهَا"[2].

وممن رجح هذا القول ابن كثير [ت ٧٧٤هـ] -رحمه الله-[3]، والسعدي -رحمه الله[4]، وابن عثيمين -رحمه الله-[5]، والشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- [6] وغيرهم.

وقال الشبلي [ت ٧٦٩هـ] -رحمه الله-:" في قوله سبحانه ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾ ولم يقل: حرست دليل على أنه قد كان منه شيء فلما بعث النبي، ملئت حرسا شديدا وشهبا، وذلك لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ولتكون الآية أبين والحجة أقطع، وإن وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك بما أخبر الله من طرد الشيطان عن استراق السمع فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ثم بقيت منه أعني من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور وفي بعض الأزمنة في بعض البلاد"[7].

وقد عللوا الانقطاع في وقت البعثة فقط، حتى لا يلتبس كلام الكهان بالوحي، ثم بعد ذلك زال السبب الذي من أجله انقطعوا.[8]. قال ابن كثير -رحمه الله- :"السماء

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٨٨، وعبدالرزاق في المصنف ٧/ ٦٦، وأبو يعلى في المسند ٩/ ٣٢٥، والدارقطني في السنن ٣/ ٢٧١، وأروده ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/ ١٦٩، وقال: "رجاله ثقات". وقال أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث المسند، رقم: ٤٦٣١: "إسناده صحيح".

(٢) فتح الباري ٨/ ٦٧٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٦/ ١٦٥.

(٤) ينظر: تفسير السعدي ص ٧٠٠.

(٥) ينظر: القول المفيد ١/ ٣١٤.

(٦) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/ ٣١٨، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٠٦.

(٧) آكام المرجان في أحكام الجان للشبلي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة . ص ١٧٨.

(٨) ينظر: القول المفيد ١/ ٣١٥.

ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر. وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله"[1].

القول الثاني : أن استراق الجن للسمع انقطع ببعثة النبيﷺ وأنه مستمر حتى بعد وفاته، واستدلوا بظواهر الآيات كقوله -عز وجل-:﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [3].وقوله :﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [4].

وأشار الألوسي -رحمه الله- إلى ذلك بقوله:" لا يخفى أن الظواهر تشهد بمنعهم مطلقا إلى يوم القيامة"[5]. ونقل عن بعض المفسرين قوله:" الصحيح أن الشياطين ممنوعون من السمع منذ بعث رسول اللهﷺ إلى يوم القيامة، وبتقدير استراقهم فلا يتوصلون إلى الإنس ليخبروهم بما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم "[6].

قال ابن عاشور -رحمه الله- :" الشُّهُبَ الَّتِي يُشَاهِدُونَهَا مُتَسَاقِطَةً فِي السَّمَاءِ هِيَ رُجُومٌ لِلشَّيَاطِينِ الْمُسْتَرِقَةِ طَرْدًا لَهَا عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ كَامِلًا، فَقَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَمْ يَعْرِفُوا سَبَبَهُ..... وَمُقْتَضَى تَكْوِينِ الشُّهُبِ لِلرَّجْمِ أَنَّ هَذَا الِاسْتِرَاقَ قَدْ مُنِعَ عَنِ الشَّيَاطِينِ، وَفِي سُورَةِ الْجِنِّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُنِعَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ إِحْكَامًا لِحِفْظِ الْوَحْيِ مِنْ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَى النَّاسِ بِالْكِهَانَةِ. فَيَكُونُ مَا اقْتَضَاهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنهم- مِنَ اسْتِرَاقِ الْجِنِّ السَّمْعَ وَصْفًا لِلْكِهَانَةِ السَّابِقَةِ. وَيَكُونُ قَوْلُهُ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»[7] وَصْفًا لِآخِرِ أَمْرِهِمْ."[8].

---

(1) تفسير ابن كثير ٦/ ١٦٥.

(2) سورة الجن:٨.

(3) سورة الشعراء:٢١٢.

(4) سورة الصافات:٨-٩.

(5) روح المعاني ١٠/ ٣٨.

(6) المصدر السابق

(7) سبق تخريجه .

(8) التحرير والتنوير ١٤/ ٣١.

القول الراجح:

القول الراجح -والله أعلم- أن استراق الجن للسمع قد انقطع -أيضاً- بعد وفاة النبيﷺ لمايلي:

١ - أن دلالة ظواهر الآيات عليه أقوى من دلالتها على غيره.

٢ - الآية التي استدل بها أصحاب القول الأول ليست نصاً صريحاً بل هي محل احتمال. وقد سبق بيان ذلك.

٣ - التعليل بمنعه وقت البعثة فقط حتى لايلتبس الوحي بكلام الكهان مشكل من ثلاثة وجوه:

أ - أن الله -عز وجل- قال: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [1].

ب - أن العلماء صرّحوا بامتناع سماع الجن للوحي كما سيأتي.

ج - أن مقام الوحي أعظم وأجل من أن يلتبس بكلام الأفاكين الكذابين، بل لايمكن القول بالتباس كلام الله ووحيه العظيم بكلام الصادق من البشر فضلاً عن الكاذب!.

قال ابن عاشور -رحمه الله-:" كَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا رَاجَعَهُمْ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حِينَ شَاوَرَهُ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا يَصِفُونَ النَّبِي، وَقَالُوا: نَقُولُ: كَلَامُهُ كَلَامُ كَاهِنٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ[2]. وَكَلَامُ الْكُهَّانِ فِي مَزَاعِمِهِمْ مِنْ إِلْقَاءِ الْجِنِّ إِلَيْهِمْ وَإِنَّمَا هِيَ خَوَاطِرُ نُفُوسِهِمْ يَنْسُبُونَهَا إِلَى شَيَاطِينِهِمُ الْمَزْعُومَةِ. نُفِيَ عَنِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ، أَيِ الْكُهَّانُ لَا يَجِيشُ فِي نُفُوسِهِمْ كَلَامٌ مِثْلُ الْقُرْآنِ فَمَا كَانَ لِشَيَاطِينِ الْكُهَّانِ أَنْ يُفِيضُوا عَلَى نُفُوسِ أَوْلِيَائِهِمْ مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ."[3]

٤ - أن القول بمنع استراق الجن للسمع بعد وفاة النبيﷺ هو الأليق بمقام المعجزة والنبوة.

---

(١) سورة الشعراء:٢١٠-٢١٢.

(٢) أخرجه الحاكم بنحوه ٢/٥٥٠. وقال :صحيح على شرط البخاري.

(٣) التحرير والتنوير ١٩/١٩٩.

قال القرطبي –رحمه الله– : " فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ هَذَا الْقَذْفَ إن كان لِأَجْلِ النُّبُوَّةِ فَلِمَ دَامَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ دَامَ بِدَوَامِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ بِبُطْلَانِ الْكِهَانَةِ فَقَالَ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكَهَّنَ"[1] فَلَوْ لَمْ تُحْرَسْ بَعْدَ مَوْتِهِ لَعَادَتِ الْجِنُّ إِلَى تَسَمُّعِهَا، وَعَادَتِ الْكِهَانَةُ. وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَطَلَ، وَلِأَنَّ قَطْعَ الْحِرَاسَةِ عَنِ السَّمَاءِ إِذَا وَقَعَ لِأَجْلِ النُّبُوَّةِ فَعَادَتِ الْكِهَانَةُ دَخَلَتِ الشُّبْهَةُ عَلَى ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَظُنُّوا أَنَّ الْكِهَانَةَ إِنَّمَا عَادَتْ لِتَنَاهِي النُّبُوَّةِ، فَصَحَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْضِي دَوَامَ الْحِرَاسَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَعْدَ أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ إِلَى كَرَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. "[2].

والقول بنفي استراق الجن للسمع لا يعني نفي محاولتهم التسمع لقوله –عز وجل–: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [3]، فقد جاء عن ابْنِ عَبَّاس –رضي الله عنهما– أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ مُخَفَّفَةً، وَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَمَّعُونَ، وَلَكِنْ لَا يَسْمَعُونَ[4]، وقال ابن جرير .– في تفسيره لهذه الآية: "الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تَسَمَّعَ الْوَحْيَ، وَلَكِنَّهَا تُرْمَى بِالشُّهُبِ لِئَلَّا تَسْمَعَ"[5].

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في المسند ٣٢/٢٠٥. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/٢٢٨.

(٢) تفسير القرطبي، ط دار الكتاب العربي، لبنان، ١٥/٦٦.

(٣) سورة الصافات: ٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٢٠٥.

(٥) تفسير الطبري ١٩/٤٩٨.

المطلب الرابع : ما الذي يسترقه الجن من السمع؟.

دلت الآيات على أن الجن لا يمكنهم الوصول إلى شيء من الغيب كما في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [1]، والمقصود به الغيب المطلق الذي استأثر الله به في قوله -عز وجل- : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [2]. لأن الغيب ينقسم إلى قسمين: غيب مطلق أو حقيقي وهو ما يعلمه وحده سبحانه دون ما سواه، وهو المقصود عند الإطلاق، وغيب إضافي أو مقيد وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض؛ كالذي يعلمه الملائكة عن أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً. وأما ما يعلمه البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله؛ لأنه غيب عمن غاب عنه من المخلوقين، ليس هو غيباً عمن شهده. والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيباً مقيداً ليس غيباً مطلقاً غاب عن المخلوقين قاطبة.[3].

وقد يخبر الله -عز وجل- من ارتضى من رسله على بعض غيبه كما قال -عز وجل- : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [4].

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- :" الواجب على كل مسلم أن يعتقد أنَّ علم الغيب مختصٌ بالله -عز وجل- وأنه قد يُعطي بعض علم الغيب لرسول.

والرسول هو الذي جاء في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ ﴾ [5]، فالذي اِستُثْنِي هو الرسول، والرسول نوعان:

- رسول ملكي، نِسبَةً إلى الملائكة.

---

(١) سورة سبأ: ١٤.

(٢) سورة النمل: ٦٥.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى: ١٦/ ١١٠.

(٤) سورة الجن: ٢٦.

(٥) سورة الجن: ٢٦-٢٨.

- ورسول بشري.

وهؤلاء يُستَثنَونَ فيما أراد الله -عز وجل- أن يُعلِمَهُم إياه من أمور الغيب تعالى لحكمته، ولكمال علمه وقدرته."[1].

ويمكن بيان ما قد يسترقه الجن من السمع وما لايستطيعون استراقه بما يلي:

أولاً: ما لايستطيع استراقه الجن من السمع:

١ - الغيب المطلق الذي أستأثر الله بعلمه كالعلم بحقيقة ذاته وصفاته، ومافي نفسه -سبحانه وتعالى- كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [2] قال ابن جرير -رحمه الله-: "ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه، لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه"[3]، وهذا لاسبيل لأحد من الخلق في الوصول إليه، وإذا امتنع اطلاع الملائكة والرسل - عليهم السلام- عليه فامتناع غيرهم من باب أولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "لأن غير الله لا يعلم ما في نفس الله من العلم - ونفسه هي ذاته المقدسة - إلا أن يعلمه الله بذلك كما قال المسيح عليه السلام ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ وقالت الملائكة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾، فغيبه الذي اختص به لا يظهر عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول، والملائكة لا يعلمون غيب الرب الذي اختص به. وأما ما أظهره لعباده فإنه يعلمه من شاء وما تتحدث به الملائكة فقد تسترق الشياطين بعضه؛ لكن هذا ليس من غيبه وعلم نفسه الذي يختص به"[4]

٢ - وحي الله إلى رسله -عليهم السلام- فإن هذا ممالا يستطيع استراقه الجن لا قبل البعثة ولا بعدها لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [5].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٧١٣.

(٢) سورة المائدة: ١١٦.

(٣) تفسير الطبري ١١/٢٣٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/١٩٧.

(٥) سورة الشعراء: ٢١٢.

قال يحيى بن سلام –رحمه الله– :" كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ، يَسْتَمِعُونَ أَخْبَارًا مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا الْوَحْيُ فَلَمْ يَكُونُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَسْمَعُوهُ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ، مُنِعُوا مِنْ تِلْكَ الْمَقَاعِدِ الَّتِي كَانُوا يَسْتَمِعُونَ فِيهَا إِلا مَا يَسْتَرِقُ أَحَدُهُمْ فَيُرْمَى بِشِهَابٍ."[1].

وقد صرح القرطبي -بذلك فقال في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [2]:" حَفِظْنَا السَّمَاءَ مِنَ الشَّيَاطِينِ أَنْ تَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ، وَغَيْرِهِ، إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَإِنَّا لَمْ نَحْفَظْهَا مِنْهُ أَنْ تَسْمَعَ الْخَبَرَ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ سِوَى الْوَحْيِ، فَأَمَّا الْوَحْيُ فَلَا تَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئًا"[3].

وقال ابن عاشور –رحمه الله–:"الْمَقْصُودُ مِنْ مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ ذَلِكَ مَنْعُهُمُ الِاطِّلَاعَ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ عَدَمَ اطِّلَاعِهِمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ وَنَحْوِهِ مِمَّا لَوْ أَلْقَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي عِلْمِ أَوْلِيَائِهِمْ لَكَانَ ذَلِكَ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ."[4].

وعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، ولأجله قيل بانقطاع الكهانة[5].

ثانياً: مايمكن للجن استراقه من السمع:

أ – مايسترقونه قبل البعثة :

أشارت الأحاديث والآثار السابقة أن الجن كانوا قبل البعثة يتمكنون من استراق شيء من خبر السماء الذي لايتعلق بوحي الله إلى رسله –عليهم السلام–، ومع ذلك فهم لايخبرون به إلا وقد خلطوا معه كثيراً من كذبهم.

ب – مايسترقونه بعد البعثة :

يرى القائلون ببقاء استراق الجن للسمع بعد البعثة وأنه لم ينقطع : أن الجن قد يتمكنون من استراق الأخبار التي هي من جنس ما اعتاده الناس، وأخبارها لا تماثل أخبار

---

(١) تفسير يحيى بن سلام ٢/٥٢٦.

(٢) سورة الحجر:١٦–١٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/١٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٤/٣١.

(٥) ينظر : تفسير القرطبي ١٠/١١.

الأنبياء -عليهم السلام-. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:"الجنّ غايتها أن تخبر ببعض الأمور المستقبلة؛ كالذي يسترقه الجن من السماء، مع ما في الجنّ من الكذب، فلا بُدّ لهم من الكذب، والذي يخبرون به هو ممّا يُعلم بالمنامات وغير المنامات، فهو من جنس المعتاد للناس، وأما ما يخبر الرسل من الأمور البعيدة الكبيرة مفصلاً؛ مثل إخباره: "إنكم تقاتلون الترك، صغار الأعين، ذُلفُ الأنفِ، ينتعلون الشعر، كأنّ وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَة"[1]، وقوله: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيء لها أعناق الإبل ببُصرى"[2]، ونحو ذلك. فهذا لا يقدر عليه جني، ولا إنسيّ."[3].

وهذا الذي ذكره ابن تيمية -رحمه الله- هو مقتضى التفريق بين آيات الأنبياء -عليهم السلام- الدالة على صدقهم ومايخبر به الجن أوليائهم من الكهان ونحوهم، وإلا للزم من ذلك القدح في آيات الأنبياء، قال ابن رشد [ت٥٢٠هـ] -رحمه الله-:"قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّة عِيسَى ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [4]فَجعل ذَلِك من دَلِيل النُّبُوَّة وَمَا لَا يطلع عَلَيْهِ إِلَّا من أُوحِي بِهِ إِلَيْهِ، فادعاء معرفَة مَا يستتر النَّاس بِهِ من أسرارهم، وَمَا ينطوون عَلَيْهِ من أخبارهم، أَو مَا يحدثه الله من غلاء الأسعار ورخصها ونزول الْمَطَر وَوُقُوع الْقَتْل وحلول الْفِتَن وارتفاعها وَغير ذَلِك من المغيبات إِبطَال لدلائل النُّبُوَّة وَتَكْذِيب للآيات المنزلات..... فَلَا جَائِز أَن يخبر أحد بِشَيْء من المغيبات إِخْبَارًا متوالياً من غير أَن يتخلله غلط وَكذب إِلَّا من يخبر عَن الله -تَعَالَى- من نَبِي أَو رَسُول، وَاحْذَر أَن تشكك فِي ذَلِك، أَو يخلط عَلَيْك فِيهِ لِأَن بعض من يَدعِي علم ذَلِك يخبر عَن الشَّيْء فَيكون على مَا يَقُول فَإِنَّمَا يُمكن أَن يُصَادف المغيب فِي بعض الْجمل، وأكثرها وَاقع فِيهَا الْغَلَط وَالْكذب وَأما تَفْصِيل شَيْء مِنْهَا فَلَا يعرفهُ وَلَا يدريه وَلَا يُمكنهُ تعاطيه وَهَذِه صفة الحزر والتخمين الَّذِي يشاركهم فِيهِ جَمِيع النَّاس."[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد،باب قتال الترك ح٢٩٢٨، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح٢٩٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن،باب خروج النار٧١١٨، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ح ٢٩٠٢.

(٣) النبوات، تحقيق :عبدالعزيز الطويان، نشر أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٠ه، ١/١٤٨-١٤٩.

(٤) سورة آل عمران:٤٩.

(٥) الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الحظ لابن رشد ص٤١.

واختار الألوسي –رحمه الله– أن مايسترقه الجن بعد البعثة إنما هو من الأمور التي لايعتد بها فقال :" قد يختار القول بأن الشياطين إنما منعوا بعد البعثة عن سمع ما يعتد به من علم الغيب من ملائكة السماء أو العنان، ومن خطف خطفة يعتد بها من ذلك اتبعه الشهاب وأهلكه ولم يدعه يوصلها بوجه من الوجوه إلى الكهنة، وأما سمع ما لا يعتد به فقد يقع لهم ويوصلونه إلى الكهنة فيخلطون به من الكذب ما يخلطون، فحيث حكم عليهم بالعزل عن السمع أريد بالسمع السمع الكامل المعتد به، وحيث حكم عليهم بإلقاء السمع أريد بالسمع السمع في الجملة وأدنى ما يصدق عليه أنه سمع ."[1].

وقال الشبلي –رحمه الله–:" الذي انقطع اليوم وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء عند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن كسرقة سارق، وخبية في مكان خفي أو نحو ذلك. وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنناً فيصيبون قليلاً ويخطئون كثيراً، وذلك القليل الذي يصيبون فيه هو ما تتكلم به الملائكة في العنان كما في حديث البخاري فيطردون بالنجوم فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة كما قال ﷺ[2] "[3].

وإذا قيل بأنهم يتمكنون من استراق ذلك بعد البعثة فتمكنهم من استراق ذلك قبل البعثة من باب أولى.

* * *

---

(١) روح المعاني ١٠/١٣٩.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) آكام المرجان ص١٧٩.

المبحث الثاني : رجم مسترقي السمع، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : أدلة ثبوت رجم مسترقي السمع.

دلّ القرآن الكريم والسنة النبوية على رجم مسترقي السمع من الجن، بل إن أكثر الأدلة التي سبق ذكرها في ثبوت استراق الجن للسمع تضمنت -أيضاً- التصريح برجمهم، ويمكن هنا ذكر الأدلة الدالة على الرجم مع بيان معانيها باختصار على النحو التالي :

أولاً : أدلة القرآن الكريم :

١ - قال -سبحانه وتعالى- : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [1].

قال ابن كثير -رحمه الله-:"من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه"[2]

٢ - قال -سبحانه وتعالى- : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [3].

قال البغوي -رحمه الله-:"الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا، فمنهم من تقتله، ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله، ومنهم من تخبله"[4]

٣ - قال -سبحانه وتعالى- : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [5].

والمراد : مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم[6]

---

(١) سورة الجن:٨-٩.

(٢) تفسير ابن كثير٨/ ٢٤٠.

(٣) سورة الحجر:١٦-١٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٢.

(٥) سورة الصافات:٦-١٠.

(٦) ينظر : تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ٧/ ١٨٦.

٤ – قال –سبحانه وتعالى– : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾(١).

قال الشوكاني –رحمه الله–:" المعنى أنها يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع"(٢).

ثانياً: أدلة السنة النبوية :

أدلة السنة النبوية المطهرة التي سبق ذكرها للدلالة على استراق الجن للسمع، في بعضها مايدل الرجم، فمنها:

١ – عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ:" انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالَ: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ، فَانْطَلَقُوا فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، يَنْظُرُونَ مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَخْلَةَ، وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (٣)" وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ"(٤).

موضع الشاهد : " وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ".

وجه الدلالة : هذا صريح في إرسال الشهب وهو الرجم بها.

٢ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضى الله عنه–عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ – قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ

---

(١) سورة الملك: ٥.

(٢) فتح القدير ٥/ ٣١٠.

(٣) سورة الجن:١–٢.

(٤) سبق تخريجه.

غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ – فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ. قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ – وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ اليُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ – فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الأَرْضِ – فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ "[1].

موضع الشاهد : فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ.

وجه الدلالة : الحديث صريح في الرجم بالشهب.

٣ – عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ. أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ، رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا) ثُمَّ قَالَ: " الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ "[2].

موضع الشاهد : رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ.

وجه الدلالة : الحديث دال على الرمي بالنجوم لمسترقي السمع.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

المطلب الثاني: معنى رجم مسترقي السمع وصفته.

تعريف الرجم في اللغة:

قال ابن منظور :"الرَّجْمُ: مَا رُجِمَ بِهِ، وَالْجَمْعُ رُجومٌ. والرُّجُمُ والرُّجُوم: النجُومُ الَّتِي يُرْمَى بِهَا... والرَّجْمُ اسْمٌ لِمَا يُرْجَمُ بِهِ الشَّيْءُ المَرْجوم، وَجَمْعُهُ رُجومٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشُّهُب: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [1]، أي جَعَلْنَاهَا مَرامي لَهُمْ."[2].

يمكن من خلال الأدلة السابقة بيان معنى رجم مسترقي السمع وصفته على النحو التالي:

١ – أن الرجم رمي يدل عليها قوله –عز وجل-:﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾. والمراد بالقذف هنا: الرمي[3]، وقوله في الحديث :(رُمي بنجم).

٢ – الرجم يكون بالشهب، والشهب جمع شهاب . واختلف في المراد به على ثلاثة أقوال:

أ – هو الشعلة من النار[4].

ب – نور يمتد بشدة ضيائه فيحرقهم ولا يعود كما إذا أحرقت النار لم تعد[5].

ج– نجوم يُرجمون بها ثم تعود إلى أماكنها[6].

٣ – ليست المصابيح والكواكب التي في السماء هي التي يرمى بها، إذ المراد بقوله , : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [7]:"أن الشهب التي تنقض في الليل منفصلة من نار الكواكب ونورها، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها، لأنها ثابتة لا تزول، وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار، والنار ثابتة في مكانها"[8].

---

(١) سورة الملك:٥.

(٢) لسان العرب، مادة رجم ١٢/٢٢٧.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١٩/٥٠٥.

(٤) ينظر: تفسير السمعاني ٣/١٣٣.

(٥) ينظر : تفسير النكت والعيون ٥ /١٣٩.

(٦) المصدر السابق.

(٧) سورة الملك:٥.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ط المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ٢ / ٢٠٥.

قال ابن عثيمين –رحمه الله–:" ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: جعلنا شهابها الذي ينطلق منها، فهذا من باب عود الضمير إلى الجزء لا إلى الكل. فالشهب: نيازك تنطلق من النجوم. وهي كما قال أهل الفلك: تنزل إلى الأرض، وقد تحدث تصدعاً فيها. أما النجم، فلو وصل إلى الأرض، لأحرقها. "[1].

بل صرّح القرطبي –رحمه الله– بأن تلك الشهب التي يرجم بها ليست:" مِنَ الْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رُؤْيَةُ حَرَكَاتِهَا، وَالثَّابِتَةُ تَجْرِي وَلَا تُرَى حَرَكَاتُهَا لِبُعْدِهَا"[2].

٤ – إذا رمى الشهابُ مسترقَ السمع فإنه يصيبه إما قبل أن يلقي مااسترقه أو بعده، وقد قال ابن عباس –رضي الله عنهما– :" إِذَا رَمَى الشِّهَابُ الْجِنِّيَّ لَمْ يُخْطِئْهُ وَيُحَرِّقُ مَا أَصَابَ "[3]، وقال الحسن [ت ١١٠هـ] –رحمه الله–:"في أسرع من طرفة عين"[4]، وأما قول من قال:" لولا أن الشهاب قد يخطئ الشيطان لم يتعرض له مرة أخرى، فجوابه أنه يجوز أن يقع التعرض مع تحقق الإصابة لرجاء اختطاف الكلمة وإلقائها قبل إصابة الشهاب ثم لا يبالي المختطف بالإصابة لما طبع عليه من الشر"[5].

٥ – دل قوله ﷺ (فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ) على أن الشهاب يحرق مسترق السمع.

٦ – ذكر الماوردي–رحمه الله– عدداً من المسائل التي اختلف فيها العلماء تتعلق برمي الشهاب لمسترق السمع[6]، والقرطبي[7]، وغيرهما[8] ولم يذكروا لقائليها أدلة، ويحسن ذكرها لعلاقتها بذلك، وهذه المسائل هي:

أ– في حصول السمع قبل أخذهم بالشهاب قولان:

أحدهما: أن الشهاب يأخذهم قبل وصولهم إلى السمع ، فيصرفون عنه.

---

(١) القول المفيد ٣١٥/١.
(٢) تفسير القرطبي ٦٨/١٥.
(٣) تفسير يحي بن سلام ٨٢٤/٢.
(٤) المصدر السابق.
(٥) فتح الباري ٦٧٣/٨.
(٦) ينظر:النكت والعيون ١٥٣/٣.
(٧) ينظر: تفسير القرطبي ١١/١٠.
(٨) ينظر : زاد المسير ٥٢٨/٣، وفتح القدير ١٥١/٣.

الثاني: أنه يأخذهم بعد وصول السمع إليهم.

ب- في أخذهم بالشهاب قولان:

أحدهما: أنه يجرح ويحرق ولا يقتل، قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-.

الثاني: أنه يقتل، قاله الحسن -رحمه الله- وطائفة.

ت- في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان:

أحدهما: أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم، فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ولذلك انقطعت الكهانة.

الثاني: أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن، ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق.

٧ - أجاب السمعاني [ت ٤٨٩هـ] -رحمه الله- عن إشكال أن يكون الشهاب ناراً ونحن نراه عند انقضاضه نورا فقال:" الْجَوَاب: أنه يحْتَمل أنه ينْقض نورا، فَإِذا وصل إِلَيْهِ صَار نَارا، أَو يحْتَمل أنه يرى من بعد الْمَكَان أنه نجم وَهُوَ نَار، وَقيل: إِن النَّجْم ينْقض فَيَرْمِي الشَّيْطَان ثمَّ يعود إِلَى مَكَانَهُ."[1].

* * *

---

(١) تفسير السمعاني ٣/١٣٢.

المطلب الثالث : زمن رجم مسترقي السمع وأحواله.

يقصد بزمن رجم مسترقي السمع وأحواله بيان مدى تقدمه على البعثة أو لا؟، وكذا كثرته وقلته.

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول : أن الرمي بالشهب موجود قبل البعثة، قال النووي–رحمه الله–:"قال جماعة من العلماء مازالت الشهب منذ كانت الدنيا وهو قول ابن عباس–رضي الله عنهما–، والزهري –رحمه الله –"[1]، قال القرطبي :"وهو قول الأكثرين"[2]، واستدلوا بما يلي[3]:

١ – قوله تعالى:﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [4] قال الهروي [ت ٤٣٤هـ]: "في هذه الآية دليل على أن الحادث هو الملأ والكثرة، وأنهم كانوا في الأول يقعدون من السماء مقاعد لاستراق السمع ويجدون بعض المقاعد غير خالية من الحرس والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها ولم يبق مقعد من المقاعد خالياً"[5].

وروى عبد الرزاق في تفسيره عن معمر قال: قلت للزهري: أو كان يرمى به– أي النجم– في الجاهلية؟ قال نعم. قلت: يقول الله , ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ[6].

قال البيهقي[ت ٤٥٨هـ]–رحمه الله– معلقاً على قول الزهري .–: "وهذا يوافق ظاهر القرآن لأنه قال خبراً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾؛

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/١٦٨.

(٢) تفسير القرطبي ١٣/١٩.

(٣) ينظر : تفسير القرطبي ١٣/١٩، فتح الباري ٦٧٢/٨ ،سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،الطبعة الأولى، ١٤١٤ه، ٢/٢٠٥.

(٤) سورة الجن:٨–٩

(٥) سبل الهدى والرشاد٢/٢٠٥، نقلاً عن شرح الهروي لصحيح مسلم.

(٦) ينظر : تفسير القرطبي ١٣/١٩

فأخبرت الجن أنه زيد في حراسة السماء وشهبها حتى امتلأت منها ومنهم. وفي ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حرّاس وشهب معدّة معهم"[١].

٢ – ماروواه مسلم -رحمه الله- عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: بينما النبي ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال ﷺ: (ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟)...الحديث [٢]

فدل ذلك على أن الرمي بالشهب كان موجوداً في الجاهلية قبل البعثة.

٣ – ماجاء في أشعار العرب القديمة، قال ابن قتيبة -: " الرجم كان قبل مبعثه، ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه. .... وعلى هذا وجدنا الشعر القديم. قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي:

فالعير يرهقها الغبار وجحشها　　　ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي:

فانقض كالدر يتبعه　　　نقع يثور تخاله طنباً"[٣].

القول الثاني : أن الرمي بالشهب لم يحدث إلا بعد البعثة، قال الصالحي الشامي[ت٩٤٢هـ] -رحمه الله-:" وهو الذي صح عن ابن عباس، وبه قال أبي بن كعب، والشعبي، ونافع بن جبير، وصححه أبو عثمان الجاحظ، ومال إليه ابن الجوزي وغيره "[٤]، واستدلوا بما يلي:

١ – ماجاء في الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ : " انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالَ: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَانْظُرُوا مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ....الحديث"[٥]

---

(١) ٢٣٨/٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير٥٢٧/٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢٠٥/٢.

(٥) سبق تخريجه.

قال ابن حجر -رحمه الله-" قال عياض : ظاهر الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ لإنكار الشياطين له، وطلبهم سببه، ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعاً إليها في حكمهم حتى قطع سببها بأن حيل بين الشياطين وبين استراق السمع، كما قال تعالى في هذه السورة ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [2]، وقد جاءت أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره إذ لم يعهدوه قبل المبعث، وكان ذلك أحد دلائل نبوته ﷺ ويؤيده ما ذكر في الحديث من إنكار الشياطين"[3].

٢ – ما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: "كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زادوه فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله، منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلي بين جبلين أراه قال: بمكة، فلقوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض"[4].

٣ – ماروي عن أبي بن كعب أنه قال: "لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله، رمى بها فرأت قريش أمرا لم تكن تراه، فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء، ثم فعلت ثقيف مثل ذلك، فبلغ عبد ياليل فقال: لا تعجلوا وانظروا فإن تكن نجوماً تعرف فهو عند فناء الناس، وإن كانت نجوما لا تعرف فهو عند أمر قد حدث، فنظروا فإذا هي لا تعرف، فأخبروه فقال: هذا عند ظهور نبي، فما مكثوا إلا

---

(١) سورة الجن:٨-٩.

(٢) سورة الشعراء:٢١٢.

(٣) فتح الباري ٨/٦٧٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الجن، ٥/٤٢٧، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص١٠٠.

يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال: ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبي مرسل، قال عبد ياليل: فعند ذلك رمى بها"[1].

٤ – أنه لم يوجد في شيء من أشعار العرب، قال أبو إسحاق الزجاج[ت٣١١هـ] – رحمه الله–"الشُهُبُ الكواكب المنقضةُ من آيات اللّه للنبي ﷺ، والدليلُ على أنها كانت انْقَضَّتْ بعد مولد النبي ﷺ أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحدٌ فيه ذكر الكواكب المنْقَضَّة، فلما حدثت بعد مولد النبيﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة :

كأنّه كَوْكَبٌ في إثْرِ عِفْرية... مُسَوّمٌ في سوادِ الليل مُنْقَضِب"[2].

ونقل القرطبي –رحمه الله– عن الجاحظ[ت ٢٥٥هـ]–رحمه الله– قوله:" كُلُّ شِعْرٍ رُوِيَ فِيهِ فَهُوَ مَصْنُوعٌ"[3].

القول الراجح:

يمكن الجمع بين القولين بما ذكره القرطبي –رحمه الله– حيث قال:" يمكن الجمع بينهما أن يقال: إن الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي ﷺ ثم رميت أي :لم تكن ترمى رمياً يقطعها عن السمع، ولكنها كانت ترمى وقتاً ولا ترمى وقتاً، وترمى من جانب ولا ترمى من جانب. ولعل الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [4] إلى هذا المعنى، وهو أنهم كانوا لا يقذفون إلا من بعض الجوانب فصاروا يرمون واصبا. وإنما كانوا من قبل كالمتجسسة من الإنس، يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره، ويسلم واحد ولا يسلم غيره، بل يقبض عليه ويعاقب وينكل. فلما بعث النبي ﷺ زيد في حفظ السماء، وأعدت لهم شهب لم تكن من قبل، ليدحروا عن جميع جوانب السماء، ولا يقروا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها، فصاروا لا يقدرون على سماع شي مما يجري فيها، إلا أن يختطف أحد منهم بخفة

---

(١) عزاه ابن كثير في البداية والنهاية ٤٦/٤ إلى الواقدي، والسيوطي في الدر المنثور٣٠٣/٨ إلى الواقدي وأبي نعيم في الدلائل، ولم أعثر عليه فيهما.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ط عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٨ه، ١٧٦/٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٣/١٩.

(٤) سورة الصافات:٨–٩.

حركته خطفة، فيتبعه شهاب ثاقب قبل أن ينزل إلى الأرض فيلقيها إلى إخوانه فيحرقه، فبطلت من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة."[1].

وقال ابن حجر-رحمه الله- بعد أن نقل كلام القرطبي -رحمه الله- السابق:" ثم وجدت عن وهب بن منبه ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلف الأخبار قال :كان إبليس يصعد إلى السماوات كلهن يتقلب فيهن كيف شاء لا يمنع منذ أخرج آدم إلى أن رفع عيسى فحجب حينئذ من أربع سماوات فلما بعث نبينا حجب من الثلاث فصار يسترق السمع هو وجنوده ويقذفون بالكواكب، ويؤيده ما روى الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال :لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد فلما بعث محمد حرست حرساً شديداً ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك، ومن طريق السدي قال : إن السماء لم تكن تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين ظاهر وكانت الشياطين قد اتخذت مقاعد يسمعون فيها ما يحدث فلما بعث محمد رجموا "[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" قبل زمان البعث وبعده، كان الرمي خفيفا، لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن."[3].

* * *

---

(1) تفسير القرطبي ٦٦/١٥.

(2) فتح الباري ٨/ ٦٧٢-٦٧٣.

(3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/ ٣٥٥.

المطلب الرابع : رجم مسترقي السمع من دلائل نبوة محمد ﷺ.

نص العلماء على أن حراسة السماء بالشهب التي يرمى بها مسترقي السمع من أمارات بعثته، ودلائل نبوته، وعلامات رسالته ﷺ[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب. وهذا أمر خارق للعادة. حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم. حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب، علموا أنه لأمر حدث. وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك، حتى سمعت القرآن. فعلموا أنه كان لأجل ذلك. وهذا من أعلام النبوة ودلائلها."[2].

وليس المقصود هنا ذكر نصوص العلماء في إثبات كون ذلك من دلائل نبوته ﷺ إذ هي من الكثرة ما لا يكاد يحصى، لكن قد يحسن إيراد ما ذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي[ت ٤١٥هـ] رداً على من لم يجعل ذلك من دلائل نبوته ﷺ حيث قال:" من أعلامه التي حدثت وهو ﷺ بمكة، انقضاض الكواكب وامتلاء السماء بها من كل جانب على وجه انتقضت به العادة وخرج عن المعتاد. وهذه آية عظيمة، وبيّنة جليلة، وواضحة جسيمة.

وقد نطق القرآن بها فقال حاكياً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[3].

فإن قيل : ومن أين لكم هذا وقد سبقكم زمانه ونحن لا نؤمن بكتابكم ولا نقرّ بنبيّكم؟ وخبرونا عن طريق معرفتكم بذلك هل هو ضرورة أم اكتساب؟ .

قيل له: العلم بذلك طريقه الاستدلال والاكتساب، ويتهيأ لكل عاقل من كافر ومؤمن أن يعرف ذلك ويجب عليه أن يعرف، وسبيله سهلة قريبة، فمن نظر واستدل عرف، ومن لم يستدل لم يعرف.

---

(١) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي٢/٢٣٤، ودلائل النبوة لأبي نعيم، تحقيق:محمد قلعجي وعبدالبر عباس، دار النفائس، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ،١/٢٢٥، وأعلام النبوة للماوردي١/١٦٧، والشفا للقاضي عياض،دار الفيحاء، عمان،ط الثانية،١٤٠٧هـ،١/٧٣٠.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٥ / ٣٥٥.

(٣) سورة الجن:٨-٩

والدليل على أن ذلك قد كان، أن رسول الله ﷺ قد تلا هذه السورة واحتج بذلك على العدوّ والوليّ، فعلمنا أنه أمر قد كان ووقع، فإن الحجة به قد قامت وظهرت وقهرت، لأنه لا يجوز أن يقصد عاقل إلى قوم يدعوهم إلى صدقه ونبوته ويحرص في إجابتهم إلى طاعته والانقياد له ويريد منهم ذلك ثم يقول: من علامة نبوتي ودلائل رسالتي أن النجوم لم تكن تنقض، وأنها الآن قد انتقضت، وهو يعلم أنهم يعلمون أن هذا أمر لا أصل له وأنه قد كذب فيما ادعى. هذا لا يقع من عاقل كائناً من كان، فكيف بمن يدعي النبوة. وعقله العقل المعروف الراجح الموصوف؟!. ثم يقصد إلى أمر ظاهر مكشوف في السماء البارزة للخلق أجمعين المشاهدة للأولين والآخرين، سيما والعرب أعلم الناس بالكواكب والأنواء ومطالعها وسيرها، والثابت الراكد الذي لا يغيب منها."[1].

وقال -أيضاً- :" فإن قيل: أو ليس قد ذكر أن في شعر الشعراء الأولين ذكرا لانقضاض الكواكب، وفي كتب العجم ذكر لذلك.

قيل له: .... ما ننكر أن يكون قد كان قبل مبعث النبي شيء من انقضاض الكواكب، ولكنا قد علمنا بالدليل الذي قدمنا أنه قد حدث عند مبعث النبي شيء انتقضت به العادة، وامتلأت السماء به، فتلك الزيادة على الأمر المعتاد هي الحجة؛ فصار ذلك بمنزلة الطوفان، فإن الماء قد كان قبل نوح-عليه السلام- يزيد زيادات كثيرة معروفة معتادة، فلما جاء نوح صلى الله عليه زاد الماء زيادة انتقضت به العادة وخرج عن الأمر المعتاد، فكانت تلك الزيادة هي الآية وهي الحجة. فليس في شعر الشعراء ولا فيما وجد في كتب القدماء مطعن في هذه الدلالة، ولا تكذيب لهذا الخبر...لأن النبي ﷺ إنما احتج بامتلاء السماء بالشهب لا بالأمر المعتاد، هذا لا يفعله عاقل ولا يقع منه كائناً من كان، فكيف بمن يدعى الصدق والنبوة ويريد من الناس كلهم تصديقه واتباعه؟. فلا يجوز أن يحتج عليهم بأمر قد عرفوه قبل أن يخلق ويخلق آباؤه فيقول: هذا من آياتي ومن أجلي حدث، وبسبب تصديقي خلق، فيكون بمنزلة من قال: من الدلالة على نبوتي أن الشمس ما كانت تطلع عليكم وأنها الآن قد صارت تطلع."[2].

---

(1) تثبيت دلائل النبوة، نشر دار المصطفى، القاهرة،١/٦٤-٦٥.

(2) المصدر السابق ١/٦٩.

المبحث الثالث : الشبه المتعلقة باستراق الجن للسمع والرد عليها، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : شبه المنكرين لاستراق الجن للسمع، والرد عليها.

مع كون الأدلة من الكتاب والسنة صريحة وواضحة في هذه المسألة، إلا أن هناك من أنكر ذلك، معللاً إنكاره بشبه عقلية فاسدة ترتكز في أصلها على عدم الإيمان بالغيب إيماناً تاماً وكاملاً، أو بدعوى أن ماجاء في الآيات قد يعارض شيئاً من الأصول القطعية في الإسلام، وربما اضطرب بعضهم فقال في إثباته في موضع، وذهب إلى تأويله في موضع آخر، ويمكن عرض أهم الشبه، وردها على النحو التالي:

الشبهة الأولى :

قال الجاحظ " قال قوم : قد علمنا أن الشياطين ألطف لطافة، وأقلّ آفة، وأحدّ أذهانا، وأقلّ فضولا، وأخفّ أبدانا، وأكثر معرفة، وأدقّ فطنة منّا. والدّليل على ذلك إجماعهم على أنّه ليس في الأرض بدعة بديعة، دقيقة ولا جليلة، ولا في الأرض معصية من طريق الهوى والشّهوة، خفيّة كانت أو ظاهرة، إلّا والشّيطان هو الدّاعي لها، والمزيّن لها، والذي يفتح باب كلّ بلاء، وينصب كلّ حباله وخدعه. ولم تكن لتعرف أصناف جميع الشرور والمعاصي حتى تعرف جميع أصناف الخير والطّاعات.

ونحن قد نجد الرّجل إذا كان معه عقل، ثمّ علم أنّه إذا نقب حائطا قطعت يده، أو أسمع إنسانا كلاما قطع لسانه، أو يكون متى رام ذلك حيل دونه ودون ما رام منه أنّه لا يتكلّف ذلك ولا يرومه، ولا يحاول أمرا قد أيقن أنّه لا يبلغه.

وأنتم تزعمون أنّ الشّياطين الذين هم على هذه الصّفة كلّما صعد منهم شيطان ليسترق السّمع قذف بشهاب نار، وليس له خواطئ، فإمّا أن يكون يصيبه، وإمّا أن يكون نذيرا صادقا أو وعيدا إن يقدم عليه رمي به. وهذه الرّجوم لا تكون إلا لهذه الأمور. ومتى كانت فقد ظهر للشّيطان إحراق المستمع والمسترق، والموانع دون الوصول ثمّ لا نرى الأوّل ينهي الثّاني، ولا الثّاني ينهي الثّالث، ولا الثّالث ينهي الرّابع عجب. وإن كان الذي يعود غيره فكيف خفي عليه شأنهم، وهو ظاهر مكشوف؟! وعلى أنّهم لم يكونوا أعلم منّا حتّى ميّزوا جميع المعاصي من جميع الطاعات. ولولا ذلك لدعوا إلى الطّاعة بحساب المعصية، وزيّنوا لها الصّلاح وهم يريدون الفساد. فإذا كانوا ليسوا كذلك فأدنى حالاتهم

أن يكونوا قد عرفوا أخبار القرآن وصدقوها، وأنّ الله تعالى محقّق ما أوعد كما ينجز ما وعد. وقد قال الله : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [4]، مع قول الجنّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [5]، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [6].

فكيف يسترق السّمع الذين شاهدوا الحالتين جميعا، وأظهروا اليقين بصحّة الخبر بأنّ للمستمع بعد ذلك القذف بالشّهب، والإحراق بالنار؟، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [7]، وقولـــه تعـــالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [8] في آي غير هذا كثير. فكيف يعودون إلى استراق السّمع، مع تيقنهم بأنّه قد حصّن بالشهب؟.

ولو لم يكونوا موقنين من جهة حقائق الكتاب، ولا من جهة أنّهم بعد قعودهم مقاعد السّمع لمسوا السّماء فوجدوا الأمر قد تغيّر - لكان في طول التّجربة والعيان الظّاهر، وفي إخبار بعضهم لبعض، ما يكون حائلا دون الطّمع وقاطعا دون التماس الصّعود.

---

(١) سورة الملك:٥.

(٢) سورة الحجر:١٦-١٧.

(٣) سورة الصافات:٦-٨.

(٤) سورة الشعراء:٢٢١-٢٢٣.

(٥) سورة الجن:١٠.

(٦) سورة الجن:٨-٩.

(٧) سورة الشعراء:٢١٢.

(٨) سورة الصافات:٧-٩.

وبعد فأي عاقل يسرّ بأن يسمع خبرا وتقطع يده فضلا عن أن تحرقه النّار؟! وبعد فأيّ خبر في ذلك اليوم؟! وهل يصلون إلى النّاس حتّى يجعلوا ذلك الخبر سببا إلى صرف الدّعوى؟"[1].

وقد لخص الرازي-رحمه الله- هذه الشبهة بقوله:" هؤلاء الشياطين كيف يجوز فيهم أن يشاهدوا واحداً وألفاً من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم إنهم مع ذلك يعودون لصنيعهم؟ فإن من له أدنى عقل إذا رأى هلاك أبناء جنسه من تعاطي شيء مرارا امتنع منه"[2].

الجواب عنها :

١ – هذه الاعتراضات لايصح من خلالها دفع ماورد ثبوته ببرهان الشرع المطهر.

٢ – هذا الأمر غيبي، ويتعلق بجنس غيبي وقاعدة الإيمان الصحيح بالغيب هي : التسليم وعدم الاعتراض.

٣ – وصف الشياطين بأنهم أحد أذهاناً ليس بصحيح على إطلاقه، قال الرازي –رحمه الله-:" لا نسلم حذقهم في كل الأمور ولهذا جاء في وجوه تسخيرهم ما جاء"[3].

٤ – قولكم: "نجد الرّجل إذا كان معه عقل، ثمّ علم أنّه إذا نقب حائطا قطعت يده أو أسمع إنسانا كلاما قطع لسانه" قول ينقضه الواقع، لأن هناك من يدرك العقوبة الشنيعة لمايقدم عليه ثم هو لاينزجر عن الإقدام، بل والتكرار.

٥ – إذا قيل بإمكان وقوع الفعل وتكراره مع مشاهدة العقوبة في عالم الأنس فلأن يقال بإمكانية وقوعه في عالم الشياطين من باب أولى، كيف وقد وصفهم الله –عز وجل– الشيطان حال الاستراق بأنه مارد فقال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴾ [4]. قال ابن عاشور-رحمه الله- : " وصفه بالمارد إشارة إلى أن ما يصيب إخوانه من الضر بالشهب لا يعظه عن تجديد محاولة الاستراق لما جبل عليه طبعه الشيطاني من المداومة على تلك

---

(١) الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ ٦/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٥٨٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة الصافات:٦-٨.

السجايا الخبيثة كما لا ينزجر الفراش عن التهافت حول المصباح بما يصيب أطراف أجنحته من مس النار."[1].

٦ – قيل : يعودون إلى استراق السمع مع علمهم أنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة[2].

٧ – أجاب الجاحظ بناء على مذهبه الاعتزالي عن هذه الشبهة بقوله:" نقول بالصّرفة [3]في عامّة هذه الأصول."[4]. ولايخفى بطلان القول بالصّرفة[5].

الشبهة الثانية :

قال الجاحظ :" قالوا: زعمتم أنّ الله تعالى قال: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ**﴾ [6]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ**﴾ [7]، ونحن لم نجد قطّ كوكبا خلا مكانه، فما ينبغي أن يكون واحد من جميع هذا الخلق، من سكّان الصحارى، والبحار، ومن يراعي النّجوم للاهتداء، أو يفكّر في خلق السموات أن يكون يرى كوكبا واحدا زائلا، مع قوله: ﴿**وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ**﴾ [8]"[9].

الجواب عنها :

١ – عدم الرؤية لايلزم منه عدم الوقوع، وهذا أمر ظاهر.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣ / ٩١.

(٢) ينظر : تفسير الخازن دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ٤ /١٦.

(٣) الصرّفة : تعني : أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن وسلب عقولهم عنها وكانت في مقدورهم . لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار معجزة كسائر المعجزات. ينظر: البرهان في علوم القرآن ٩٣/٢ والإتقان في علوم القرآن ١١٨/٢.

(٤) الحيوان٦ /٤٥٦.

(٥) ينظر لبطلانه: إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق:أحمد صقر، نشر دار المعارف، القاهرة، ط الخامسة ١٩٩٧م، ص١٣٠، والنبوات ٤٠/١، لوامع الأنوار البهية للسفاريني، نشر مكتبة الخافقين،دمشق،ط الثانية ١٤٠٢هـ،١٧٤/١.

(٦) سورة الملك:٥.

(٧) سورة الحجر:١٦.

(٨) سورة الملك:٥.

(٩) الحيوان ٦ /٤٥٦.

٢ – إن كان المقصود أن أحداً لم ير الرمي بالشهب وسقوطها فهذا غير صحيح، وقد سبق بيان أن ذلك وقع في النبي ﷺ ورآه . ومن كان معه من أصحابه –رضي الله عنهم– وإن كان المقصود سقوط الكواكب نفسها فإن الرمي إنما يكون بالشهب التي تنطلق من النجوم، وقد سبق بيان ذلك.

وقد أجاب الجاحظ في رده على هذه الشبهة بنفس هذا المعنى فقال : " قيل لهم: قد يحرّك الإنسان يده أو حاجبه أو إصبعه، فتضاف تلك الحركة إلى كلّه، فلا يشكّون أنّ الكلّ هو العامل لتلك الحركة، ومتى فصل شهاب من كوكب، فأحرق وأضاء في جميع البلاد. فقد حكم كلّ إنسان بإضافة ذلك الإحراق إلى الكوكب. وهذا جواب قريب سهل. والحمد لله "[١].

الشبهة الثالثة :

قالوا : يغني عن الحفظ من استراق الشياطين عدم تمكينهم من الصعود إلى حيث يسترق السمع، أو أمر الملائكة –عليهم السلام– بإخفاء كلامهم بحيث لا يسمعونه، أو جعل لغتهم مخالفة للغتهم بحيث لا يفهمون كلامهم[٢].

الجواب عنها :

١ – في هذه الشبهة نوع إساءة أدب مع الله –سبحانه وتعالى–، واعتراض على مشيئته النافذة، وحكمته البالغة.

٢ – في هذا غفلة عن ربط الأسباب بمسبباتها.

٣ – لا يخفى أن مثل هذا الاعتراض لو قيل به فإنه يجري في أشياء كثيرة[٣].

٤ – أجيب : بأن وقوع الأمر على ما وقع من باب الابتلاء، وفيه أيضا من الحكم ما فيه[٤].

---

(١) الحيوان ٦/٦د٤.

(٢) ينظر : تفسير الرازي، وروح المعاني ١٢/٧٣.

(٣) ينظر : روح المعاني١٢/٧٣.

(٤) المصدر السابق.

٥ – الخالق –عز وجل– حكيم وقد راعى الحكمة فيما خلق وأمر على أتم وجه حتى قيل: ليس في الإمكان أبدع مما كان يحل ذلك، ولا يبقى معه سوى تطلب وجه الحكمة وهو مما يتفضل الله تعالى به على من يشاء من عباده[١].

الشبهة الرابعة :

اضطربت أقوال بعض المفسرين[٢] في هذه المسألة فمرة يصرح بالإيمان باستراق السمع مع عدم البحث عن الكيفية فيقول:" إنا لنؤمن بما جاء فى الكتاب الكريم من أن الجن كانوا يسترقون السمع، ومنعوا من ذلك بعد بعثة النبي ﷺ، ولكن لا نعرف كيف كانوا يسترقون السمع، ولا نعرف كنه الحرس الذين منعوهم"[٣]، ويقول –أيضا– :" الكتاب الكريم أخبر بأن الشياطين أرادوا أن يختطفوا شيئا من أخبار الغيب مما لدى الملائكة الكرام، فسلّطت عليهم الشهب المشتعلة، والنجوم المتقدة، فأحرقتهم، ولا نبحث عن معرفة كنه ذلك، ولا نمعن فى النظر، لندرك حقيقته، لأنا لم نؤت من الوسائل والأسباب ما يمكننا من معرفة ذلك معرفة صحيحة، تجعلنا نؤمن به إيماناً مبنياً على البرهان بوسائله المعروفة، وليس لنا إلا التصديق بما جاء فى الكتاب وأوحى به إلى النبي الكريم، والبحث وراء ذلك لا يقفنا على علم صحيح، بل على حدس وتخمين، لا حاجة للمسلم به للاطمئنان فى دينه، فالأحرى به أن يعرض عنه لئلا يحيد عن القصد، ويضل عن سواء السبيل"[٤].

بينما في موضع آخر يذهب إلى رأي في استراق الجن للسمع يصرّح بأنه خالف فيه رأي كثير من المفسرين فيقول عند تفسير قوله –عز وجل–:

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [٥]" أي : إلا من لاحت له بارقة من ذلك الجمال، وعنّت له سانحة منه، فتخطفت بصيرته كالشهاب الثاقب، فحنّ إلى مثلها،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هذه الأقوال للشيخ المراغي[ت١٣٧١هـ] –رحمه الله–.

(٣) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ ٢٩/ ٩٩.

(٤) المصدر السابق ١٤/١٤.

(٥) سورة الصافات:١٠

وصبت نفسه إلى أختها، وهام بذلك الملكوت العظيم باحثا عن سر عظمته، ومعرفة كنه جماله، وهم من اصطفاهم الله من عباده، وآتاهم الحكمة من لدنه، وأيدهم بروح من عنده، وهم أنبياؤه وأولياؤه الذين أنعم عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين....وقد نحونا بهذا نحوا آخر يخالف ما في كثير من التفاسير إذ أنهم قالوا إن خطف الخطفة كان من الشيطان حين أراد أن يسترق السمع ويأخذ أخبار السماء فأتبعه شهاب ثاقب فأحرقه ولم يستطع أخذ شيء منها، وعصم الله وحيه وكتابه."[1].

و يسوق رأيا غير ماسبق وينقله عن آخرين فيقول :" يرى قوم أن مقاعد السمع هى مواضع الشبه التي يوسوس بها الجن فى صدور الناس، ليصدوهم عن اتباع الحق، والحرس: هى الأدلة العقلية التي نصبها سبحانه لهداية عباده، والشهب الأدلة الكونية التي وضعها فى الأنفس والآفاق.

وعلى هذا يكون المعنى: إن القرآن الكريم بما نصب من الأدلة العقلية والأدلة الكونية حرس للدين من تطرق الشبه التي كان الشياطين يوسوسون بها فى صدور الزائفين، ويحوكونها فى قلوب الضالين، ليمنعوهم من تقبل الدين والاهتداء بهديه، فمن يكفر فى إلقاء الشكوك والأوهام فى نفوس الناس بعدئذ يجد البراهين التي تقتلعها من جذورها."[2].

الجواب عنها :

ورد في هذه النصوص تأويلان لاستراق الجن للسمع:

أحدهما : أن المراد بالخطفة بارقة من الجمال، عنّت له سانحة منه. فتخطفت بصيرته كالشهاب الثاقب.

الثاني : أن مقاعد السمع هى مواضع الشبه التي يوسوس بها الجن فى صدور الناس، والحرس: هى الأدلة العقلية التي نصبها سبحانه لهداية عباده، والشهب الأدلة الكونية التي وضعها فى الأنفس والآفاق.

---

(١) تفسير المراغي٢٩/ ٩٩.

(٢) المصدر السابق

ولـم يُـذكر لهـذين التـأويلين قرينـة معتبـرة تـدل علـى صـحتهما، وهمـا تـأويلان لايساعدهما السياق، ولاتؤيدهما اللغة، بل إن ذلك نوع من التكلف البعيد لبيان معنى الآيات.

وفي مثل هذه التأويلات والتعسفات البعيدة يقول سيد قطب [ت ١٣٨٥هـ]-رحمه الله- :"إذا كان المصدر الذي يزعم الكهان أنهم يستقون منه معلوماتهم عن الغيب، يقرر أنه هو لا يدري عن ذلك شيئاً، فقد انقطع كل قول، وبطل كل زعم، وانتهى أمر الكهانة والعرافة. وتمحض الغيب لله، لا يجترئ أحد على القول بمعرفته، ولا على التنبؤ به. وأعلن القرآن تحرير العقل البشري من كل وهم وكل زعم من هذا القبيل! وأعلن رشد البشرية منذ ذلك اليوم وتحررها من الخرافات والأساطير! أما أين يقف ذلك الحرس؟ ومن هو؟ وكيف يرجم الشياطين بالشهب؟ فهذا كله مما لم يقل لنا عنه القرآن ولا الأثر شيئا، وليس لنا مصدر سواهما نستقي منه عن هذا الغيب شيئا، ولو علم الله أن في تفصيله خيرا لنا لفعل. وإذ لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث لا يضيف إلى حياتنا ولا إلى معرفتنا المثمرة شيئا! ولا مجال كذلك للاعتراض أو الجدل حول الشهب، وأنها تسير وفق نظام كوني، قبل البعثة وبعدها ووفق ناموس يحاول علماء الفلك تفسيره، بنظريات تخطئ وتصيب. وحتى على فرض صحة هذه النظريات فإن هذا لا يدخل في موضوعنا، ولا يمنع أن ترجم الشياطين بهذه الشهب عند انطلاقها. وأن تنطلق هذه الشهب رجوما وغير رجوم وفق مشيئة الله الذي يجري عليها القانون! فأما الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله للذكر من الالتباس بأي باطل، وأنه لا يجوز أن يؤخذ على ظاهره، فسبب هذا عندهم أنهم يجيئون إلى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم، أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل، ومن ثم يرون الملائكة تمثيلا لقوة الخير والطاعة. والشياطين تمثيلا لقوة الشر والمعصية. والرجوم تمثيلا للحفظ والصيانة ... إلخ لأن في مقرراتهم السابقة- قبل أن يواجهوا القرآن- أن هذه المسميات: الملائكة والشياطين أو الجن. لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا النحو، وأن تكون لها هذه التحركات الحسية، والتأثيرات الواقعية!!! من أين جاءوا بهذا؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التي يحاكمون إليها نصوص القرآن والحديث؟

إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، وفي التصور الإسلامي وتكوينه أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة، وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود. "[1].

* * *

(١) في ظلال القرآن. ط دار الشروق، القاهرة،ط السابعة عشرة،١٤١٢هـ ٦ / ٣٧٣٠.

المطلب الثاني : الجمع بين كون النجوم زينة للسماء، ورجم الشياطين بها.

ذكر الله تعالى أنه زين السماء الدنيا بالمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين فقال-عزوجل- : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[2]، فكيف يمكن الجمع بين كون المصابيح والكواكب زينة، وكونها رجوماً للشياطين وحفظاً للسماء؟.

يمكن الجمع بينهما بما ذكره عدد من العلماء، فمن ذلك:

١- قال القرطبي-رحمه الله- :" ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي جعلنا شهبها، فحذف المضاف دليله ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [3]. وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها.

وقيل: إن الضمير راجع إلى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب. ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته."[4].

٢ - ماذكره الرازي-رحمه الله- في تفسيره بقوله :" فإن قيل : جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها واستمرارها وجعلها رجوماً للشياطين ورميهم بها يقتضي زوالها، والجمع بينهما متناقض، قلنا : ليس معنى رجم الشياطين هو أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل يجوز أن ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها وتلك الشعل هي الشهب وما ذاك إلا قبس يؤخذ من نار والنار باقية"[5].

٣ - وقال ابن كثير-رحمه الله- :" الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله : ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ على

---

(١) سورة الملك:٥.

(٢) سورة الصافات:٦-٧.

(٣) سورة الصافات:١٠

(٤) تفسير القرطبي ١٨ / ٢١٠-٢١١.

(٥) تفسير الرازي ٣٠ / ٥٢.

جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم "[1].

٤ – وسبق ذكر ماقاله الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– : "جعلنا شهابها الذي ينطلق منها؛ فهذا من باب عود الضمير إلى الجزء لا إلى الكل. فالشهب: نيازك تنطلق من النجوم. وهي كما قال أهل الفلك: تنزل إلى الأرض، وقد تحدث تصدعا فيها. أما النجم، فلو وصل إلى الأرض؛ لأحرقها.[2].

وملخص تلك الأقوال في الجمع بين كون المصابيح والكواكب زينة، وكونها رجوماً للشياطين وحفظاً للسماء مايلي:

أ – أن الرجم بالشهب لابالكواكب، وإضافته إلى الكواكب من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

ب – يجوز أن ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها، وتلك الشعل هي الشهب.

ج – الضمير في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ يعود على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها.

د – أنها من باب عود الضمير إلى الجزء لا إلى الكل، فيكون المعنى : شهابها الذي ينطلق منها.

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير ١٤ / ٧٢.

(٢) القول المفيد ١/ ٣١٤.

المطلب الثالث : إشكال كون رجم الجن بالنار وهم مخلوقون من نار، والجواب عنه.

أورد بعض المفسرين إشكالاً في كون الشهب التي يرمي بها مسترق السمع من الجن ناراً وهم مخلوقون من نار، وأجابوا عنه بعدة أجوبة، منها :

١ – ذكر هذا الإشكال الرازي –رحمه الله– حيث قال :" الجن مخلوقون من النار ، والنار لا تحرق النار بل تقويها ، فكيف يعقل أن يقال : إن الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب"[١].

وأجاب عنه بقوله :" أن النار قد تكون أقوى من نار أخرى ، فالأقوى يبطل الأضعف."[٢].

٢ – وقال البيضاوي[ت ٦٨٥هـ] –رحمه الله– :" لا يقال : إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها."[٣].

٣ – ولعل من أسدها ماذكره ابن حجر –رحمه الله– بقوله :" الْجَوَابُ أَنَّ أَصْلَهُمْ مِنَ النَّارِ كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْآدَمِيِّ مِنَ التُّرَابِ، وَكَمَا أَنَّ الْآدَمِيَّ لَيْسَ طِينًا حَقِيقَةً كَذَلِكَ الْجِنِّيُّ لَيْسَ نَارًا حَقِيقَةً، وَقَدْ وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ فِي قِصَّةِ تَعَرُّضِ الشَّيْطَانِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :(فَأَخَذْتُهُ فَخَنَقْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ رِيقِهِ عَلَى يَدَيَّ)[٤] قُلْتُ : وَبِهَذَا الْجَوَابِ يَنْدَفِعُ إِيرَادُ مَنِ اسْتَشْكَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [٥] فَقَالَ كَيْفَ تُحْرِقُ النَّارُ النَّارَ؟."[٦].

* * *

---

(١) تفسير الرازي ٥٤/٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير البيضاوي، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ ٧/٥.

(٤) أخرجه أبو داود ١١٣/١، وأحمد ١١٣/١، وصححه ابن حجر كما في النص المنقول.

(٥) سورة الصافات:١٠

(٦) فتح الباري ٦ / ٣٤٥.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على التوفيق والامتنان والفضل والإنعام لما يسّر من إكمال هذا البحث الذي كان من أهم نتائجه ما يلي :

١. أهمية الإيمان بالغيب في الإسلام، وعظم مكانته .
٢. الاستراق في اللغة هو التسمع خفية .
٣. تضافرت الأدلة من كتاب الله، وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم- على ثبوت استراق الجن للسمع.
٤. بينت تلك الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ المراد باستراق الجن للسمع وصفته،وأنه على وجه السرعة والخفية، وبهيئة معينة. وربما كان الاستراق من السماء الدنيا، وقد يكون من السحاب، وأن ما يسترقه الجني يلقيه إلى وليه من الكهان بنوع من الترديد للكلام في أذن الكاهن.
٥. استراق الجن للسمع قبل بعثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأما بعد بعثته فقد اختلف فيه العلماء على قولين أولهما : القول بانقطاع استراق الجن للسمع بعد البعثة، والثاني: أنه بقي منه شيء قليل، والراجح عند الباحث هو القول بانقطاع استراق الجن للسمع بعد البعثة.
٦. وكذلك اختلف العلماء في بقاء استراق الجن للسمع بعد موت النبي-صلى الله عليه وسلم- على قولين : أحدهما القول بانقطاعه، والآخر ببقائه معللين انقطاعه زمن البعثة لئلا يلتبس الوحي بالكهانة، ورجح الباحث القول بالانقطاع، مع مناقشة ذلك التعليل.
٧. القول بانقطاع استراق الجن للسمع لايعني أنهم لايحاولون الاستراق، وقد ورد عن ابن عباس-رضي الله عنها- أنهم يتسمعون ولكن لايسمعون.
٨. عند القائلين ببقاء استراق الجن للسمع فإنهم يقولون بعدم تمكنهم من استراق ما يتعلق بالغيب المطلق، أو وحي الله لرسله -عليهم السلام- لأن الله منعهم من ذلك كما قال ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾، وأن مايسترقونه قد يكون من الأمور المعتادة عند بعض الناس.

٩. وكما ثبت استراق الجن للسمع فقد ثبت – أيضاً – رميهم بالشهب فتحرقهم كما أخبر بذلك النبي –صلى الله عليه وسلم–.

١٠. وهل كان الرجم لمسترق السمع موجوداً قبل البعثة؟ اختلف في ذلك العلماء على قولين أحدهما بمنعه قبل البعثة، والآخر بوجوده، ويمكن الجمع بينهما بالقول بأنه قبل البعثة لم يكن كثيرا، ثم كثر بعد البعثة.

١١. اتفق العلماء على أن رمي مسترقي السمع بالشهب هو من دلائل نبوة محمد– صلى الله عليه وسلم–.

١٢. من ينكر استراق الجن للسمع بالكلية لايستند في إنكاره إلى دليل صحيح أو برهان واضح.

١٣. النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرجم بها الشياطين، وإنما ينطلق الشهاب منها.

١٤. الجن وإن كان مخلوقاً من نار فإن ذلك لايمنع أن يعذب، وقد تكون التي خلق منها الجن ليست ناراً صرفة، وحتى لو كانت كذلك فإن الله لايعجزه شيء.

هذا مايسر الله بحثه، فما كان من صواب فمن الله وحده، وماكان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله من ذلك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس المصادر والمراجع:

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ،عام النشر ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣. أعلام النبوة ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ،دار ومكتبة الهلال – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ.

٤. آكام المرجان في أحكام الجان ،محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين ،المحقق إبراهيم محمد الجمل ،مكتبة القرآن – مصر – القاهرة.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

٦. تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠.

٧. التحرير والتنوير »تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير المجيد«،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر ١٩٨٤م.

٨. تفسير القرآن ،أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ،المحقق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٩. تفسير القرآن العزيز،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف ،بابن أبي زَمَنِين المالكي ،المحقق أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن ،مصطفى الكنز ،الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٠. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ،أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم ،المحقق أسعد محمد الطيب ،مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ،الطبعة الثالثة – ١٤١٩هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٢. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣. تفسير المراغي،أحمد بن مصطفى المراغي ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

١٤. تفسير يحيى بن سلام ،يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني ،تقديم و الدكتورة هند شلبي ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٥. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، نشر دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، : د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، تحقيق د.عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.

١٩. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٢١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد ،دار العاصمة، السعودية ،الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،المحقق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

٢٣. حاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .

٢٤. الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ

٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣هـ .

٢٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ.

٢٧. الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط،أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المحقق مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم – بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٣.

٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٩. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

٣٠. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ،محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٨ه.

٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ .

٣٢. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت .

٣٣. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، مراجعة وضبط وتعليق د. محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .

٣٤. السنن الكبرى للنسائي، أحمد بن شعيب النسائي، د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسري حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
٣٥. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١١هـ.
٣٦. شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر ١٤٠١هـ .
٣٧. شرح مشكل الآثار،أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ، شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ ١٤٩٤م.
٣٨. صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ .
٣٩. صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني،المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.
٤٠. صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .
الطبعة السابعة عشر – ١٤١٢هـ
٤١. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ،محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري ،المحقق محمد أديب عبد الواحد جمران ،دار قتيبة – سوريا ،الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٤٢. الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ .
٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر بإشراف محب الدين الخطيب، ١٣٨٠هـ .
٤٤. فتح القدير الجامع بين بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني من علم التفسير، دار الفكر، بيروت .
٤٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار الشروق – بيروت– القاهرة
٤٦. القاموس المحيط،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٤٧. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، الرياض، دار الثريا، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
٤٨. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ه.
٤٩. كشف الأستار عن زوائد البزار ، تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٣٩٩هـ .
٥٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الأولى .
٥١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت .
٥٢. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وساعده ابنه محمد، إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ .
٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، :

عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ .
٥٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، : جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .
٥٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ .
٥٦. مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٥٧. معالم التنزيل،محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي،حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش،دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٥٨. معاني القرآن وإعرابه ،إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ،عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٥٩. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ .
٦٠. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ.
٦١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
٦٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة، لبنان .
٦٣. النكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان .
٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ .

* * *

